صوت الجيل 19

العدد ١٩ من الإصدار الجديد 2023
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

2023

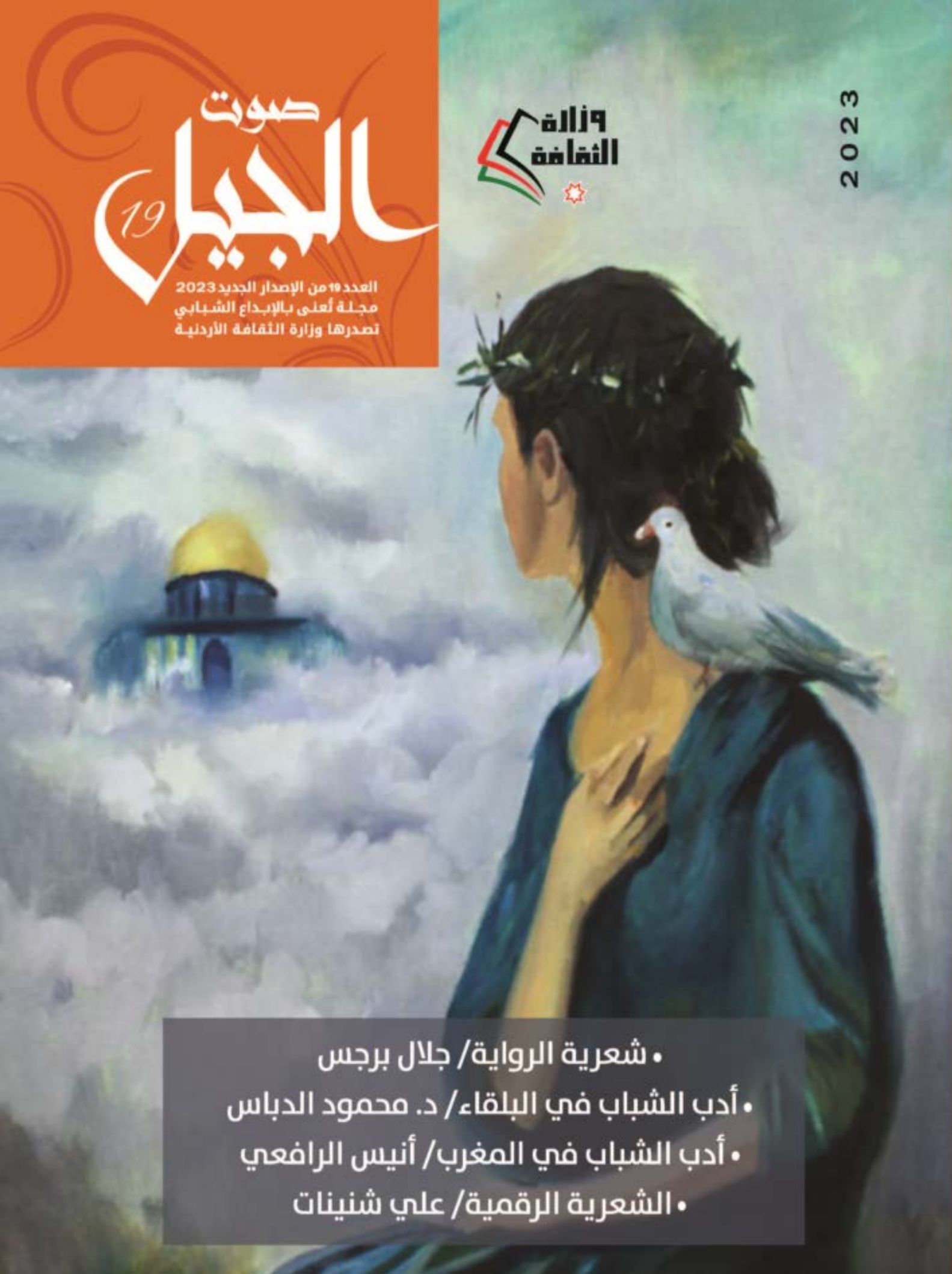

- شعرية الرواية/ جلال برجس
- أدب الشباب في البلقاء/ د. محمود الدباس
- أدب الشباب في المغرب/ أنيس الرافعي
- الشعرية الرقمية/ علي شنينات

الفنانة غادة أبو ليل/ الأردن

غلاف العدد ▲

لوحة الغلاف للفنانة: مها يوسف علي/ الأردن

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة

E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تُعبرّ عن آراء كُتّابها ولا تُعبرّ بالضرورة عن رأي المجلة

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة

www.culture.gov.jo

العنوان البريدي

الأردن - عمان - ص.ب 6140

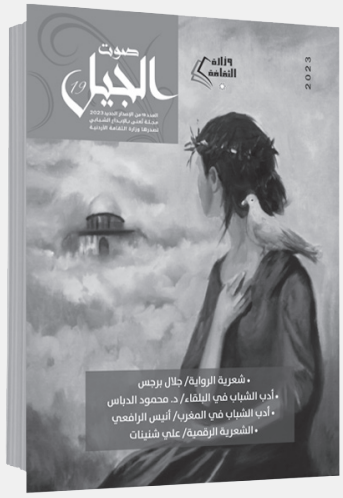

الرمز البريدي 11118 عمّان

Sawtalgeel

صوت الجيل 19

العدد 19 من الإصدار الجديد 2023

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

رئيس التحرير

جلال برجس

مدير التحرير

محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير

فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير

تيسير الشماسين

علي شنينات

جعفر العقيلي

المدقق اللغوي

د. أنس الزيود

الإخراج الفني

يوسف الصرايرة

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18–35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعرية على الشباب.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكُتّاب الأردنيين.

صوت الجيل
Sawtalgeel

المحتويات

البوابة الرقمية

- عتبة ..... جـــلال بـرجـــس 4
- الشّعريّة الرقميّة ..... علي شنينات 7

مصفوفة العدد

- أدبُ الشّبابِ في البلقاء ..... إعداد: د. محمود عواد الدباس 16
- السلط مدينة التراث المعماريّ والعيش المشترك ..... د. محمود عواد الدباس 17
- سحر المكان: أمّ الدنانير.. سحر الكلمة.. نمر بن عدوان ..... سمر العدوان 20
- السلط مدينةُ القلمِ والمِبراة..... رنـــا غريزات 23
- من غاباتِ جلعد إلى شذراتِ الذَّهب ..... ميسون العواملة 25
- قريةُ الصبيحي منسيّةٌ! لكنّها في قلوب شبابها تحيا ..... ابتسام المناصير 28
- السلط عاصمة الأوّلين ..... رنـــا حداد 32
- ابنة الأغوار.. مسارح الدحنون ..... رانيا الدوجان 34

ملتقى الأجيال

- حِوارٌ بينَ جيلين: دكتور نائل العدوان وأسماء العمري .... حاورته أسماء العمري 39

وردٌ بلدي

- رحى الأحلام ..... رولا العمري 46
- مشاعِرُك مِدادٌ لريشتك ..... صقر الحمايدة 48
- أخي الذي يُصلِحُ ما يُشتّته الرّحيل ..... بشرى علي 50
- أمطارُ فبرِواري ..... عمرو شرف 52

العدد 19 من الإصدار الجديد 2023
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية
19
2023

contents

ورد بلدي
- توقيعات ..... حلا باسم القبيلات 53
- أشدُّ وَقْعًا ..... معتصم النداف 55
- عيني أنا بعينها ..... سالم المحادين 57
- نشيجُ الياسمين ..... خلود الإبراهيم 58
- يوم الاعتراف بالهزيمة ..... حنين إبداح 60
- ابنتي وأعرِفُها ..... هدى الأحمد 62

خرائط البوح
- روح قبالة مفازات عالية ..... إكرام العطاري 66

المختبر
- الرواية والاستنارة: «النهضة والاستشراف» ..... محمد عطية محمود 70
- متطلّباتُ الترّجمةِ للأجناس الأدبيّة من العربيّة ..... آلاء البطاينة 73
- شداة النقد والإبداع: التاريخانيّة والبنيويّة ..... ترجمة: د. حسين جمعة 75
- ما لا نبوحُ به إلّا لمنصّات التواصل الاجتماعيّ ..... أحمد نصيب علي حسين 77
- الشّعرُ المعاصرُ إلى أين؟ غزارةٌ في الإنتاج.. انحدارٌ في الشعر ..... د. سهى مشرقي 79

مراسيل
- شقاءُ الأثر: سوانحُ عن أدبِ الشَّبابِ في المغرب .....أنيس الرافعي 84

نقوش
- بـــترا ..... إياد أبو ريان 89

عتبة

شعريّة الرواية

الروايةُ صورةٌ مُحسنَّةٌ عن العالَم الذي نعيش فيه، نُقِلت من عالَم المخيّلة الإشكاليّ إلى أرض الورق، وبالتالي إلى عالم التلقّي الساعي إلى ما يُضيفه الأدب لروح الإنسان الباحث عن إجابات لأسئلته الكبرى.

إنَّها رؤية مرتبطة بأحلامنا بعالَمٍ أقلَّ خرابًا وأكثرَ وضوحًا، صورة مُحسنّة، لكنَّ تفاصيلها ليست خارج نطاق ما يحدث إنسانيًا، حتى لو كُتبت بمطروقات وأدوات فنتازيّة، فما من شيءٍ يتخيّله العقل البشريّ ويكتبه، إلّا وقد حدث أو سيحدث ذات يوم.

الروايةُ ابنةُ النّفَس الطويل في القول السرديّ، والاسترسال به، كلُّ شيءٍ فيها مُغرٍ للتعاطي به عند كتّابها، ابتداءً من ولادة الفكرة في لحظتها المفاجئة، ومرورًا بذلك المُخطَّط الذي ليس بالضرورة أن يُرسم في ورقة، بل يمكن للمخيّلة أن تكون صاحبة هذه المهمّة، ومن ثَـمَّ الانصياع اللذيذ للحظة الكتابة/ الولادة، حيث تبدأ فيها الشخصيّات بشجّ ذلك الغلاف الذي يُحيطها، فتشرع بحركتها في فضاء النصّ الروائيّ، إذ يحدث الصراع في فضاء سرديّ مهمّته تمرير المقولة الرئيسيّة للرواية. وانتهاءً بالعبارة الأخيرة التي تُعلن نهاية الحكاية، حيث يحمل المتلقّي صرخة الروائيّ التي تقف وراء كلّ تلك العوالم.

أقرب الروايات إلى نفسي ذلك النوع الذي يمكن للقارئ خلالها، وأثناء القراءة، أن يصنع روايته الخاصة، وهذه مهمّة الروائيّ الذي عليه أن يعيَ جيّدًا سمات البيئة الاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة التي تعيش فيها شخصيات روايته، ويعيش فيها قارئه. هنالك روايات استلهمت أحداثًا تاريخيّةً، لكنَّ حنكة الروائيّ أحدثت ذلك التقاطع ما بين زمنين، وجعلتهما زمنًا واحدًا، بحيث أصبح العمل قابلًا للتلقّي ضمن مجريات لحظة القراءة.

مرّت الرواية العربيّة بعددٍ من التطوّرات على مختلف الأصعدة، بعضها تجريبيّة حداثويّة، منها ما قوبل بالرفض، ومنها ما تمَّ استيعابه، في هذا السياق ظهرت عربيًّا العديد من الروايات التي نُصِّبت فيها اللغةُ بطلًا يبقى حاضرًا بديناميكيّته ومرونته في فضاء النصّ الروائيّ، حيث يتبدّى للقارئ الاعتناء الشديد بتلك اللغة التي تحمل على كاهلها مزاجًا مُشَعْرنًا أوقع العديد من القرّاء والمهتمّين بخطأ في التصنيف، بحيث وُصِفت تلك الرواياتُ بانتهاجها نهجًا شعريًا، وأنّها تحتوي على صور شعريّة وإحالات وتكثيف.

لكنَّ هنالك فارقًا واضحًا بين الصورة الفنّيّة، وبين الصورة الشعريّة؛ إذ إنَّ لكلّ منهما علاقةً مختلفةً بالنصّ الذي تولد وتتحرّك فيه، ولو أنَّهما تتمازجان أحيانًا، وألقى العديد أيضًا على تلك الروايات تسميات ليست مناسبة، بحيث رأَوْا أنَّ الروايةَ الفلانيّةَ روايةٌ شعريّةٌ، من دون الانتباه إلى أنَّ هنالك فرقاً بين النصّ الشعريّ والنصّ المُشعرن، الأول ابن القصيدة بكلّ نسقها التكثيفيّ، والصادم، والإحالي، والدلاليّ. والثاني ابن النصّ المفتوح الذي يؤسِّس لدهشة التلقّي، من باب ضخّ الأوكسجين في رئتي القارئ الذي لن يصل إلى المقولة الرئيسيّة في الرواية إلّا بالانتهاء من قراءة آخر كلمة فيها.

فالجملة الشعريّة في القصيدة تأتي مكثّفةً وامضةً، تبتغي اختصار مساحة كبيرة من القول الذي لا يحتمل الشعرُ الاسترسالَ به؛ لأنَّ الأصل في الشعر هو الإيماء حتى يتحقّق عنصر الدهشة التي تؤدي بالمتلقّي إلى التقاط الانطباع الأول، ومن ثَمَّ تشكيل رؤية أرادها الشاعر، وفي بعض الأحيان تشكيل رؤية المتلقّي نفسه.

لكنَّ المزاج الشعريّ في النصّ الروائيّ مُمعن بالاسترسال أثناء لحظة التداعي الحرّ، حتى إنّه يُخيَّلُ للمتلقّي أنَّ هنالك شيئًا من التكرار، الذي ما هو إلّا نوع من أنواع الإلحاح على التطرّق لفكرة معينة لها ارتباطاتها الوثيقة بالحكاية. ثمّة فارقٌ في ما يتعلّق باللغة بين إحساس الشاعر أثناء كتابة القصيدة، وبين الروائيّ أثناء كتابة الرواية، ففي الأول يكتفي الشاعر بالتقاط صورة تجتمع فيها تفاصيل عديدة تُعبِّرُ عن عالم شاسع يُعاينه ضمن رؤيته الخاصة، وفي الثاني يلتقط الروائيُّ تفاصيلَ عديدةً تؤلّف صورةً لعالَمٍ يحلم به عبر رؤيته لما يرغب بأن يكون العالم عليه.

الروايةُ فنٌّ له طريق غير طريق الشعر، وكلاهما طالهما التطوّر، فقد خضعت مثلها مثل سائر باقي الفنون لتغيّراتٍ أوجدها تيارُ الحداثة وما بعدها، فلمسنا تلك الفوارق بين روايات كلاسيكيّة وروايات حداثويّة؛ إذ انقسم القُرّاء إلى قسمين: واحد يجد نفسه في تلقّي الرواية الكلاسيكيّة بكلّ شروطها المتعارف عليها، والثاني يجد ذاته في الرواية الحديثة التي يعتني بعضها باللغة، والتي تأخذ بعين الاعتبار توفّر المزاج الشعريّ في صناعة الحدث.

من هذا المنطلق يُمكنني القول كروائيّ قادم من الشعر، إنّني أميل لتلك الرواية التي تعتني بالأفق واللغة المبنيين على نَفَسٍ شعريّ، دون إهمال العناصر الأخرى للرواية، مؤمنًا بمقولة (إرنستو ساباتو) الذي رأى أن «ليس هناك من رواية عظيمة إن لم تكن في المحصّلة شعرًا».

وهذا إذ يشيرُ، فإنّما يشير إلى شعريّة الفكرة أولًا، ومن ثمّ إلى حاضنة الفكرة، ألا وهي اللغة، لكنَّ طغيان المزاج الشعريّ على بنية الرواية بشكل فائض، يُخلخل تصنيفها، بحيث لا يتحقّق عنصر التوازن بين عناصر الرواية، وبين تدفّق اللغة المُشعرنة، فأكثر مفاصل الرواية التي تتّضح فيها تلك اللغة هي مشاهد التداعي الحرّ والمنولوج الداخليّ، إذ تأخذ الشخصية أو السارد في البوح والاستفاضة فيه.

لكن إذا انسحب هذا على مفاصل الرواية الأخرى – التي تتطلّب لغةً واصفةً في بعض الروايات، وتحليليّةً في بعضها الآخر تضع القارئ في تفاصيل الحدث – فإنَّه يوقع الرواية في شرك اختلال توازنها، كما حدث لكثير من الروايات مؤخرًا، ففتنة السرد إن لم تأتِ في العمل الروائيّ ضمن معايير مضبوطة، فإنَّها تُلقي بآثارها السلبيّة على بنية العمل.

جلال برجس
رئيس التحرير

البوابة
الرقمية

الشّعريّة الرقميّة

علي شنينات

الشّعريّة الرقميّة

علي شنينات

عندما نُفكّر في العالَم الرقميّ، أي في «التكنولوجيا الرقميّة» أو «العلوم الإنسانيّة الرقميّة»، فإنَّ ما يتبادر إلى أذهاننا – غالبًا – هو أجهزة الكمبيوتر، والسرعة والكفاءة، والأثيريّة الإلكترونيّة لكيانات مثل الإنترنت وغيرها، ومع ذلك، فإنَّ ما تُشير إليه كلمة «رقميّ» في الأصل هو كيفيّة تعاملنا مع المعلومات، أن تكونَ رقميًّا يعني أن تتعامل مع المعلومات رقميًّا؛ أي بالأرقام، وهي الآحاد والأصفار.

إنَّ إطلاق وصف «عصر المعلومات» على قرننا هذا، يُشير إلى الاهتمام بالمعلومات، رغم أنَّ التسمية تُشير بشكل أكبر إلى أساسنا الاقتصاديّ، وليس إلى نموذجنا الرقميّ. لقد تعاملنا دائمًا مع المعلومات، وحاولنا استخلاص معنى منها، لدينا لغة ولدينا شعر، ولكن ما الذي يستلزمه النموذج الرقميّ ليصبح شعرًا؟ ما المعنى الذي نستنتجه من الآحاد والأصفار؟ وكيف يمكن أن تتطوّر؟

في عام 1804، حدثت ثورة في صناعة النسيج من خلال نول الجاكار، وهي آلة قادرة على تفسير الثقوب على البطاقات الورقيّة، أوضحت هذه الثقوبُ الأنماطَ التي تمَّ تصورها بعد ذلك على المنسوجات، وإلى جانب تسريع عمليات التصنيع، فإنَّ الأتمتة بواسطة نول الجاكار عبّرت أيضًا عن نموذج رقميّ؛ حيث تمّ إدراج معلومات أنماط النسيج في سلسلة من القيم بناءً على ما إذا كان هناك ثقب مثقوب بترتيب قراءة معينة أم لا.

من الناحية النموذجيّة تمَّ ترميز المعلومات في سلسلة منطقيّة من الحضور/ الغياب، الصواب/ الخطأ، وهكذا تطوّرت خوارزمياتنا، ومن ثمّ كود الكمبيوتر، من هذا النموذج للتعامل مع المعلومات.

أثّر نول الجاكار على أعمال (تشارلز باباج) و(أدا لوفليس) لتصميم ما يُعرف الآن بأنّه أول كمبيوتر وأول خوارزميّة حسابيّة على التوالي، وتناقش ملاحظات لوفليس التي تحتوي على هذه الخوارزميّة؛ لتوضيح آليّة نول الجاكار وبطاقاته المثقوبة، حيث تكتب خطوات محدّدة للمحرّك التحليليّ لحساب الأرقام، ولكن هل البطاقة المثقوبة أو نموذجها المعلوماتيّ، هي الخيط الوحيد الذي يربط النول بالكمبيوتر؟ أم أنَّ هذا البعد التاريخيّ بينهما يُثير علاقة أكثر تعقيدًا؟

من المؤكّد أنَّ السياق الأكثر إلحاحًا لتطوير الخوارزميّات هو الثورة الصناعيّة، ولكن بشكلٍ أكثرَ تحديدًا، كيف تكيّفت لغة الرياضيات مع المحرّك التحليليّ؟ للإجابة على هذه الأسئلة نحتاج إلى تحديد تحوّلات ماديّة معيّنة خلال الثورة الصناعيّة لفهم كيفيّة تأثيرها على الأنظمة الرمزيّة، وبعبارة أخرى، يجب علينا أن ندرس شاعريّة الخوارزميّات كما يُعرّفها دينيس تينين: «طريقة الشعريّة الحسابيّة هي إستراتيجيّة تفسير قادرة على الوصول إلى المحتوى السطحيّ السابق؛ للكشف عن المنصّات والبنى التحتيّة في مرحلة بناء المعنى في بيئة الكمبيوتر».

لكن يظلّ تحليل (تينين) الرئيسيّ منصبًّا على النصوص الرقميّة، وكيف تؤثّر البنية التحتيّة الحسابيّة الأساسيّة على الطريقة التي يقرأ بها المستخدمون المنتجات الرقميّة ويفسّرونها كما ورثناها من الثقافة المطبوعة.

إنَّ تطبيق أساليب قراءة الثقافة المطبوعة على اللغة الرقميّة، من خلال دراسة رياضيات لوفليس في ما يتعلّق بسياقاتها، هو تركيز على عدسة الشعريّة الذي يؤسّس إطارًا يمكن من خلاله النظر في العلاقة بين النقش الرمزيّ والتأثير الماديّ؛ أي العلاقة بين الشكل والوظيفة. إنَّ إنشاء هذا الإطار لقراءة شعريّة البرمجة ليس فقط تشجيع قرّاء الشعر على أن يصبحوا أكثر معرفة بلغات البرمجة، ولا يعني فهم ما تفعله الخوارزميّات، بل إنَّ دراسة تطوّر الخوارزميّات في سياقات ثقافيّة وماديّة محدّدة، من شأنها أن تجعلنا أكثر إدراكًا للقيود والإمكانات التي توفّرها رموز الكمبيوتر في تاريخنا؛ نظرًا لأنَّ اللغات التي نبرمجها تؤثّر على طرق تفكيرنا، على الأقل حسابيًّا، يجب علينا أن نفكّر في الرموز التي نتقنها.

إنَّ فهم التحوّلات وحده لا يكفي، ففي نهاية المطاف، فإنَّ اللغة التي نستخدمها لتسجيل التحوّلات، هي نفسها التي تعمل على إنتاج تلك التحوّلات، يجب علينا أن نفهم سبب حدوث تلك التحوّلات في المقام الأول، والعلاقة بين

نقوشها الرمزيّة وسياقاتها الماديّة، أي شعريّتها، من خلال إنشاء زاوية أخرى يمكن للعلوم الإنسانيّة الرقميّة من خلالها التحرّك لاجتراح أساليب جديدة، مثل القراءة عن بعد أو تحليل المشاعر، علماً بأنَّ تحليل المشاعر قد تطوّر من أساليب ممارسات الحوسبة العلميّة الى الممارسة العمليّة.

إنَّ النظر في تحليل المشاعر من خلال إطار شعريّ، من شأنه أن يأخذ في الاعتبار العلاقة بين مخرجاته وخوارزميّاته، ممّا يمنحنا طريقةً لتفسير الاختيارات التي تمّ اتخاذها في سياقات تطوّره والتشكيك فيها. وفي ما يتعلّق بعلوم الكمبيوتر، فإنَّ العدسة الشعريّة ستجعل المبرمجين أكثر وعيًا بالتأثيرات الماديّة التي تُحدثها نقوشهم الرمزيّة في النهاية.

وفي العلوم الإنسانيّة الرقميّة تظهر المناقشات المتعلّقة بفعاليّة الأساليب الحسابيّة في أبحاث العلوم الإنسانيّة، ومن الأمثلة على ذلك الخلاف بين (آني سوافورد) و(مات جوكرز) بشأن استخدام تحليل المشاعر لفحص شكل الحبكات الأدبيّة. اقترح جوكرز أنَّ الكلمات تحتوي على قيم المشاعر إذا تمَّ تحليلها وحسابها، ويمكن استخدامها للإشارة إلى الصفات الأدبيّة للنصّ، وبالتالي يتمّ تقسيم النصّ إلى جمل، ويتمّ تعيين رقم إيجابيّ أو سلبيّ لكلّ جملة بناءً على مشاعر كلماتها.

من ناحيةٍ أخرى، انتقد سوافورد تحليل المشاعر بسبب القيود المفروضة على خوارزميّة جوكرز، على سبيل المثال، لا يمكن أن تأخذ في الاعتبار المعدّلات أو الدلالات أو المعاني المتعدّدة التي قد تحملها الكلمات. تُقسِّمُ الطريقةُ الحسابيّةُ المشاعرَ إلى مصطلحات معيّنة بناءً على قاموس محدّد مسبقًا، على سبيل المثال، استخدم (أندرو بايبر) و(ريتشارد جين سو) هذه الطريقة لاستنتاج أنَّ الروايات المكتوبة خلال العصر الفيكتوري هي أكثر الآداب عاطفيّةً. لقد فحصوا حوالي 2000 رواية، و«بحثوا عن مؤشّرات لمستويات مختلفة من العاطفة باستخدام القواميس التي طوّرها (بينج ليو)، أحد أبرز الباحثين في هذا المجال».

كلّما احتوت الرواية على كلمات إيجابيّة أو سلبيّة بقوة، مثل (بغيضة، غير كَفُؤة، فاحشة، مشبوهة، مثيرة للإعجاب، شجاعة، بارعة، مفعمة بالحيوية من ناحية أخرى)، ارتفعت

درجاتها، أي إنَّ الاستنتاجات التي توصّل إليها برنامج تحليل المشاعر الخاصة بهم، كانت مبنيّة على ذاكرةٍ كُتبت فيها كلمات عاطفيّة، مثل «غير كفُؤ» أو «شجاع».

وفي ما يتعلّق بالشعريّة، قد نتساءل: 1) ما هي السياقات الماديّة التي تُصنّف «غير كفُؤ» أو «شجاع» على أنّها عاطفية؟ و2) ما هي العمليّة الخوارزميّة التي تميّز كلّ واحد منهما عن الآخر؟ ويطرح السؤال الثاني – بشكل خاص – ما هي الضغوط الثقافيّة التي دفعتنا إلى النظر في مثل هذا المنطق لمثل هذه العملية؟ وربما يصفُ ما نفكّر فيه في العاطفة أكثر من العاطفة نفسها.

من المؤكّد أنَّ العلاقة بين الرياضيات والشعر في تطوير الخوارزميّات ليست علاقة عاطفيّة، ويبدو أنَّ العمليات الثنائيّة تجد منطقها في الضغوط الثقافيّة للإنتاج التجاريّ، وفي قرننا هذا نواصل إعادة إنتاج هذا المنطق من خلال كود الكمبيوتر الخاص بنا. إنَّ أجهزة الكمبيوتر ما تزال لا تملك القدرة على توقّع العلاقات التحليليّة أو الحقائق؛ لأنَّ الذكاء الذي تستند إليه قدراتها الحسابيّة تمّ تشكيله لتحقيق نتائج اقتصاديّة، وهذا يعني أنَّ «ما نعرفه»، حسب مصطلحات لوفليس، هو هياكل البيانات التي تطوّرت من التسويق، ومن المؤكّد أنّه من المفيد للسيارات ذاتيّة القيادة التعرّف على إشارات التوقّف لتعزيز نظام المرور ومنع وقوع الحوادث.

بالنسبة لأولئك الذين هم في السلطة، لا يهمّ كيف تتعرّف السيارات على علامة التوقّف من المخاطر والالتزامات المُحتمَلة، ومع ذلك، فإنَّ هذا النموذج العمليّ الواضح في شعريّة هياكل البيانات تلك، له حدوده. وبعد استخدام عدد كبير من البيانات (صور لافتات التوقّف) لتدريب برامج التعرّف على السيارات، ما تزال السيارات ذاتيّة القيادة غير قادرة على التعرّف على لافتات التوقّف، إذ صادف أنَّها تحتوي على ملصقات أظهرت إحدى الحالات في أواخر عام 2017 أنَّ بعض الملصقات الموجودة على علامة التوقّف أربكت السيارة ذاتيّة القيادة، وجعلتها تعتقد أنَّها علامة حدّ أقصى للسرعة تبلغ 45 ميلاً في الساعة.

ربما لا يكمن الخطر في الهوامش فقط، والخطأ في أساليب الذكاء الاصطناعيّ هذه، وبدلاً من ذلك، فهي تعتمد على الاعتقاد بأنَّ الذكاء يحصل على الإجابة الصحيحة بناءً على معلومات مؤكّدة مسبقًا، ما يفعله التعلّم الآليّ إذن هو تسجيل الذاكرة كعمليّة تفكير استقرائيّ، ونماذج تنبّؤيّة تعتمد على العمليّة العلميّة.

ومن ناحية أخرى – كما تظهر العديد من الأشكال الشعريّة – فإنَّ منطق ذاكرتنا أكثر مرونة وديناميكيّة، معظمنا لا يتعلّم كيفيّة التعرّف على علامة التوقّف بناءً على عشرات الآلاف من علامات التوقّف التي تظهر له. أنا لا أقترح أن نفرض أشكالًا شعريّةً تقليديّةً على كود الكمبيوتر، على الرغم من أنّه قد تكون هناك احتمالات توليديّة في ذلك، مقارنة مع تلك الخاصيّة بتحديد وظيفة حسابيّة.

بدلًا من ذلك، أقترح أنَّ كود الكمبيوتر قد تمّ تنظيمه بالفعل في أشكال شعريّة، تشكّلُ لغاتُ البرمجة الأساسَ الذي تقوم عليه تِقنيّاتنا الرقميّة بأكملها، وبما أنَّ معظم حياتنا اليوميّة تتشابك مع العالَم الرقميّ، فإنَّ الأشكال التي تتخذها لغاتها تُنتج تداعيات فوريّة، وإلى جانب استخدام هذه التقنيّات في الأبحاث الحسابية، سيكون من المفيد للعلوم الإنسانية أن تتعرّف على النماذج التي تكمن وراء ترميزاتها.

إنَّ الآحاد والأصفار والخطوات الخوارزميّة المحدّدة لا تنتج أشكالًا جديدةً من المعلومات فحسب، بل ربما الأهمّ من ذلك بالنسبة للعلوم الإنسانيّة، أنَّها تُغيّر الطرق التي نتعامل بها مع المعلومات ونصنع المعنى منها.

المراجع :

1- The Poetics of Computer Code / Czander Tan
2- Poetics in the Expanded Field/Barrett Watten
3- The Poetics of Digital Media/Paul Frosh

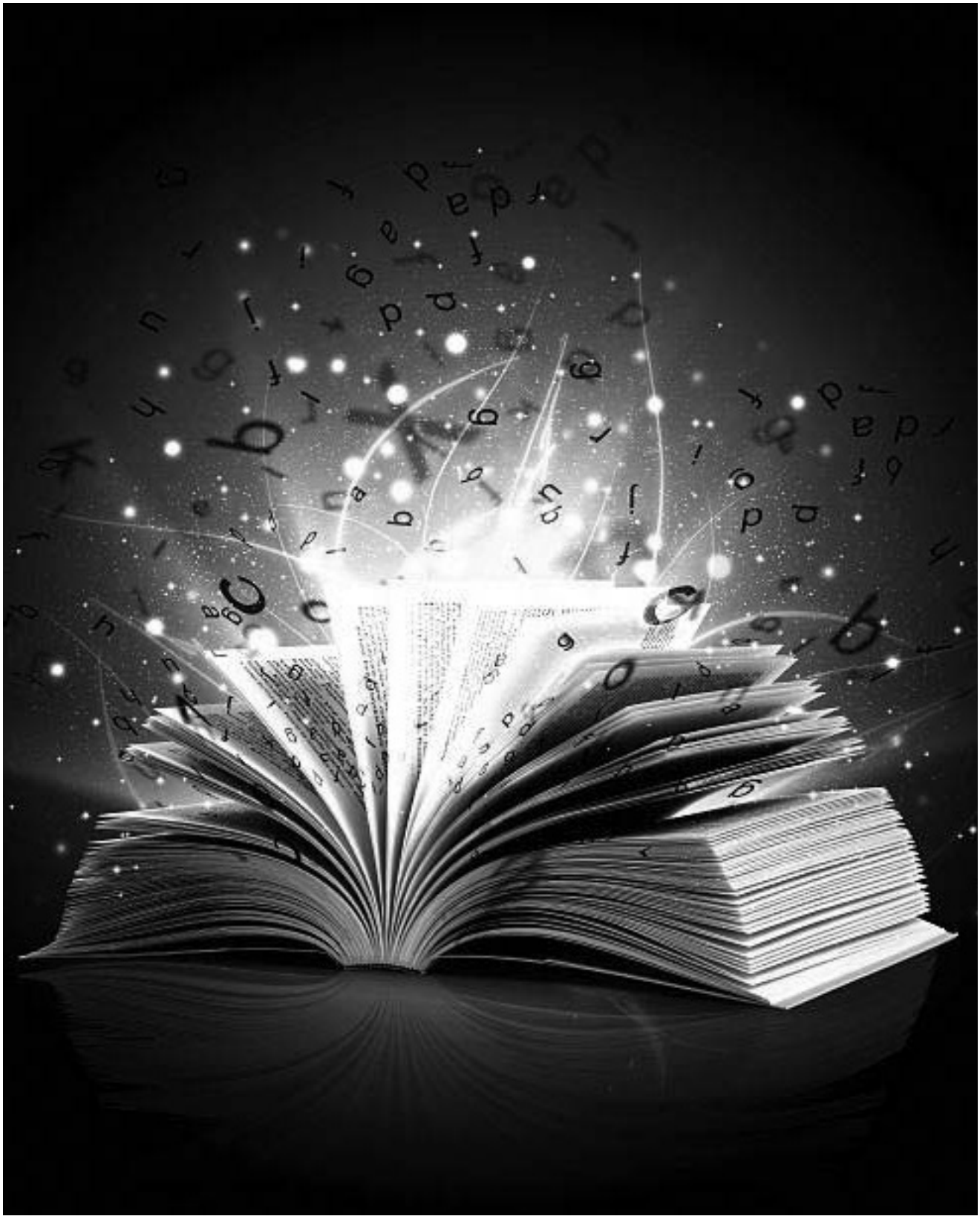

لوحة الفنان مهنا الدرة/ الأردن

العدد

أدبُ الشّبابِ في البلقاء

إعداد: د. محمود عواد الدباس

- السلط مدينة التراث المعماريّ والعيش المشترك ..... د. محمود عواد الدباس
- سحر المكان: أمّ الدنانير.. سحر الكلمة.. نمر بن عدوان ..... سمر العدوان
- السلط مدينةُ القلمِ والمِبراة..... رنـــا غريزات
- من غاباتِ جلعد إلى شذراتِ الذَّهب .... ميسون العواملة
- قريةُ الصبيحي منسيّةٌ! لكنّها في قلوب شبابها تحيا .....ابتسام المناصير
- السلط عاصمة الأوّلين ..... رنـــا حداد
- ابنة الأغوار.. مسارح الدحنون ..... رانيا الدوجان

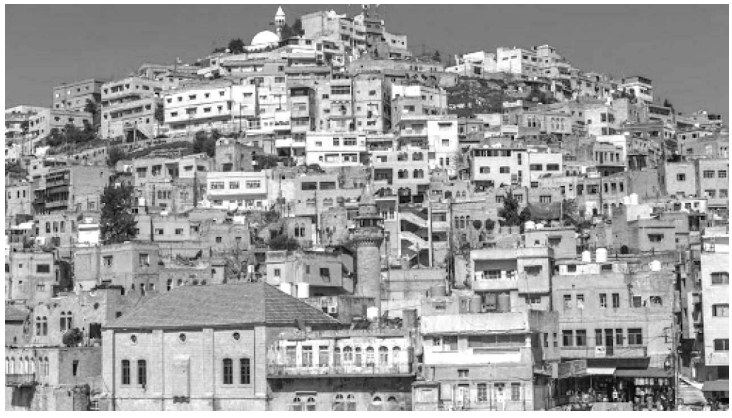

مدينة السلط/ الأردن

أدبُ الشّبابِ في البلقاء

إعداد: د. محمود عواد الدباس

في هذا العدد الذي يخصُّ السلط والبلقاء، نجد أنَّ هنالك توثيقاً لذاكرة المكان، من حيث تضاريسُهُ ومناخُهُ وتاريخُهُ الاجتماعيّ والسياسيّ، نجد ذكراً لعدة مدن وقرى (السلط، وأم الدنانير، وجلعاد، وزي، والأغوار، والصبيحي)، نجد ذكراً للعديد من الشخصيّات الأدبيّة التي وُلِدَتْ في تلك الأماكن، أو التي كتبت عن تلك الأماكن، أمثال (نمر بن عدوان، وعرار، وحسني فريز، وسليمان المشيني، ومحمد العطيات، وعلي الفزاع، وحيدر محمود، وسليمان عويس، وآخرين).

نجد أيضاً عرضاً لتضاريس المكان ومناخه، وكيف أثّر ذلك في طبائع الكُتّاب والكاتبات، ونجد عرضاً أو إشارات إلى تاريخ المكان تعليميّاً وسياسيّاً، والعادات والتقاليد وأسلوب الحياة. بلا شكّ فإنَّ كلّ ذلك أثَّر على إنتاج الكُتّاب والكاتبات، سواء في ما صدر عنهم من مقالات، أو أشعار، أو قصص، أو أعمال إبداعيّة أخرى.

وفي هذا العدد نجد أنَّ قرب المكان من العاصمة عمان، وكذلك تطوّر وسائل التواصل الاجتماعيّ، قد سهّل مهمّة الكُتّاب والكاتبات، مع الإشارة هنا إلى وجود بعض المُعوّقات أمام الأقلام النسائيّة لأسباب اجتماعيّة.

لوحة الفنان محمد الجالوس/ الأردن

السلط مدينة التراث المعماريّ والعيش المشترك

د. محمود عواد الدباس

لمدينة السلط دورٌ هامٌّ في بناء الأردن الحديث، حيث توجد شواهد كثيرة تدلّ وتؤكّد على ذلك، أبرزها أنّها كانت عاصمةً للدولة الأردنيّة طيلة ستة شهور في عام 1921م، ومرة أخرى – ولفترةٍ أقلّ – في عام 1922م، كما أنَّها احتضنت التعليم الثانويّ في الأردن طيلة عشرين عاماً متواصلة، من عام (1926 – 1946م)، علاوة على ذلك، للمدينة تاريخ سياسيّ بارز، يؤكّد ذلك العدد الكبير جدّاً من الشخصيّات العامة التي ظهرت منها، إضافة إلى المبدعين من كتّاب وشعراء، وتُوِّجَ ذلك باختيارها مدينة الثقافة الأردنيّة لعام 2008م.

فوق هذا وذاك هناك تركيبتها الاجتماعيّة من حيث التنوّع الدينيّ والأصول القوميّة والجغرافيّة، كما تتميّز بمبانيها التراثيّة ذات اللون الأصفر، حيث يوجد في السلط ما يزيد على سبعمئة مبنى تراثيّ، وقد تُوِّجَ كلُّ ذلك باختيار المدينة من اليونسكو لتصبح على قائمة المدن التراثيّة العالميّة، لعلّ كلّ هذه المعطيات السابقة جعلت منها مصدرَ إلهامٍ لكثير من الشعراء والكُتّاب والفنانين الذين قالوا فيها ما يليقُ بها من شعرٍ ونثرٍ تجسّد في قصائدَ ومقالاتٍ ومؤلّفاتٍ ولوحاتٍ فنّيّةٍ.

خلال السنوات الماضية كان تواصلي مع عدد من القامات الثقافيّة الكبيرة داخل مدينة السلط، والتي كان لها فائدة في زيادة معرفتي بالمخزون الثقافيّ الكبير لمدينة السلط، بكلّ تأكيد حفظتُ أسماء الشعراء الكبار، ومن تجارب هؤلاء أدركتُ أنَّ دور الكاتب هو الكتابة الإبداعيّة عن خصائص المكان جغرافيّاً، وهذه تشمل التضاريس والمناخ، وكذلك تاريخ المكان، وأيضاً نمط الحياة المعيش الذي يشتمل على العادات والتقاليد والتحدّيات.

ترجمت ذلك، وخلال مشاركاتي الكثيرة في المشهد الثقافيّ السلطيّ لسنوات طوال، فقد كان تركيزي الأساسيّ منصبّاً على مدرسة السلط الثانوية؛ لأهميّتها العمليّة والتراثيّة. وفي فترة لاحقة تسلّمتُ إدارة الشؤون الثقافيّة في بلدية السلط الكبرى مدة ثلاث سنوات، خلال هذه السنوات الثلاث ساهمتُ مع قسم التراث المعماريّ في إعداد مجلد الأبنية التراثيّة في السلط، وكذلك في إصدار عدد من النشرات الثقافيّة، إضافة إلى الإشراف على تحرير مجلة البلديّة.

في ذات الاتجاه تمَّ إيجاد جاليري للفنون، ومكتبة أطفال، والبدء في مشروع مركز الوثائق والمخطوطات كي يوثّق لتاريخ المدينة كصور ووثائق، وقد كانت هناك نيّة لتأسيس مكتبة عامة كبيرة تليق بالمدينة، أيضاً كان لنا دور في التسمية والترقيم، من حيث ضرورة إطلاق أسماء عدد من المبدعين على عدد من شوارع المدينة.

في ذات الاهتمام بجماليّة المكان كان لي دراسة حملت عنوان (خيمة من الياسمين الأصفر: الاستعمالات الاجتماعيّة والاقتصاديّة للمباني التراثيّة في مدينة السلط)، وقد عرضت هذه الدراسة خلال المؤتمر الهندسيّ الذي أقامته نقابة المهندسين في محافظة البلقاء بمشاركة مهندسين معماريين أردنيين وعرب.

عام ٢٠٠٨م كان عام الثقافة، حيث تمّ اختيار مدينة السلط كي تصبح في ذلك العام مدينة الثقافة الأردنيّة، كان موقعي في فعاليّات المدينة الثقافيّة أنّني ضابط الارتباط لشؤون التوثيق، وخلال ذلك العام الثقافيّ، وإلى مدة ثلاث سنوات متتالية، كنتُ أجهّز لتوثيق هذه التجربة؛ قناعةً منّي أنَّ المدينة ستُخرج في هذا العام أفضلَ ما لديها.

في نهاية عام ٢٠١٠م، تمَّ عمل حفل إشهار لكتابي (حاضرة البلقاء الشامخة السلط مدينة الثقافة الأردنية لعام ٢٠٠٨م). كانت فكرة الكتاب هي إظهار هُويّة المدينة من حيث إنّها مدينة التراث المعماريّ، ومن حيث إنّها مدينة العيش المشترك، ومن حيث إنَّها مدينة المبادرات الوطنيّة، ومن حيث إنَّ عمقها عربيّ إسلاميّ.

جاء الكتاب في ٥٠٠ صفحة ملوَّنة، وتمَّ تقسيم الكتاب إلى عدة فصول، خُصِّصَ فصلٌ منها للفعاليّات التي أقيمت شهريّاً خلال العام الثقافيّ، وكان هنالك فصل لأفضل المقالات التي كُتبت حول المدينة، وفصل لأفضل القصائد الشعريّة التي قيلت في المدينة من قِبل شعراء عرب وأردنيين، وخُصِّصَ فصلٌ آخر لأفضل الدراسات التاريخيّة عن المدينة، وفصل لأفضل الإصدارات الثقافيّة خلال العام الثقافيّ، وفصل يوثّق بطاقات الدعوات للفعاليّات الشعريّة خلال العام الثقافيّ.

ومن الناحية الفنّيّة فقد تمّ تعزيز جميع المواد المكتوبة بصور فوتوغرافيّة وأخرى تشكيليّة تعكس هُويّة المدينة، كما تجدر الإشارة هنا إلى أنّه تمّ إلغاء حفل اختتام فعاليّات المدينة الثقافية تضامناً مع الأحداث الدامية في غزة في ذلك العام؛ لينطلق العديد من الأهالي نحو الشوارع تنديداً بالعدوان الوحشيّ على أهلنا في غزة، وفي هذا المقام أحبّ التذكير بالقصيدة التي تصدّرت صفحات الكتاب، وتعكس تاريخ المدينة وأهميتها.

سالتوس.. تاج البلقاء

فيا سالتوس.. أيّتها الملكة المتوّجة بالكروم

أيّتها العصيّة التي تُطاول الغيوم

يا سيّدة الينابيع الدافقة بالخير

يا تاج البلقاء

مثل نسر ملكيّ عظيم

تجلسين بأعلى القمم

راسخة كما الدهور والأزمان.

أيّتها العصيّة السخيّة المِعطاء

المغسولة بالعواصف الشتائيّة والمطر

المتوّجة بخضرة الكروم وزرقة السماء

المحروسة بالسّيوف المشرقيّة والفرسان.

سالتوس.. هل نحن على أبواب القلعة العتيقة؟

ها نحن هنا.. ندقّ أبواب بيوتك، فافتحي الديوان

افتحي صناديق الجدّات

وأجلسينا على البُسط السلطيّة المنقوشة بأيديهن

وانثري علينا الطيب وعطر السلطيّات

انثري الطيّب والذكريات

ها نحن نجلسُ على عتبات بيوتك الحجريّة الجميلة

تلك البيوت المتراصّة بالحبّ

المُترعة بالجود والمرمر

فانثري الطيب والذكريات.

أيّتها الملكة المتوّجة بالكروم

يا سيّدة الينابيع الدافقة بالخير

يا تاج البلقاء.

ضمن نهج الاستمرار في التوثيق لذاكرة المكان والزمان، كان لي عدة أوراق بحثيّة ومحاضرات حول (ذاكرة المكان والزمان: السلط وجوارها)، والتي تمّ إلقاؤها خلال قيامي بتدريب عدد من الأدلّاء السياحيّين التابعين لمؤسسة إعمار السلط، وضمن ذات النهج كانت لي ورقة بحثيّة (ذاكرة المكان والزمان: مدرسة السلط الثانويّة في المذكّرات والشهادات الشخصيّة، قصص وقصائد ١٨٢٦-١٩٧٦م)، والتي تمّ إلقاؤها في محاضرتين، بمناسبة مئويّة مدرسة السلط الثانوية، كما أنّني أسعى إلى تطوير هذه الورقة البحثيّة، فربما تصبح يوماً كتيّباً مطبوعاً.

ختاماً دور الكاتب أن يُبرز ذاكرة المكان، وكذلك تاريخه الإيجابيّ، وأن يكون ذلك ضمن الإطار الوطنيّ العام، فمن تاريخ وذاكرة الأماكن المحليّة يكون تاريخ الوطن.

لوحة الفنان يوسف الحياري/ الأردن

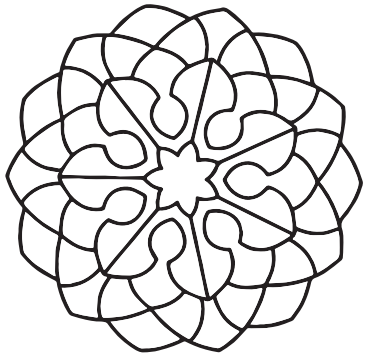

سحر المكان
أمّ الدنانير.. سحر الكلمة..
نمر بن عدوان

سمر العدوان

ذاكرةُ المكانِ دائماً ملتصقةٌ بي ولا تغادرني، فأنا فتاةٌ مُعلَّقة بالأماكن كالأشخاص تماماً، فإن ذبتُ عشقاً بأحدها، لا أستطيع إلّا أن أعلن للجميع عن مدى غرامي بها، ومن أقربها لقلبي قريتي أم الدنانير. في نهاية كلّ يومٍ عند استكمالي لأعمالي، أهربُ لقريتي الصغيرة من صخب الحياة وضوضائها المُرهق، فبمُجرّد رؤية مدخلها، أتنفّس الصّعداء.

أم الدنانير طبيعتها خلّابة، وتبعث الراحة في النفس، وتُمِدّ كلّ مَنْ يمرّ منها أو بها بالسلام والسكينة، وكل من زارها لا بدّ له من أن يعود لزيارتها في أقرب وقت، فكيفَ لا تُعشَقُ هذه الرقعة؟! ففيها التلال والسهول، وتُطوّقها الجبال الممتدّة بغابة إسكندنافيا المتوَّجة بأشجار الصنوبر الخضراء واللوزيات المتناثرة في هذه الغابة الوسيعة، فهي تتبع للواء عين الباشا ضمن محافظة البلقاء، بالقرب من مدينة السلط.

تاريخها عريقٌ، وأرضها شهدت حضاراتٍ متعدّدةً، منها من مرّ واستقرّ بها، كالرومانيّة والأمويّة، ويشهد على ذلك أنَّهم تركوا خلفهم معالم ومعابد أثريّة، كرجم المضمار، ورجم الحنو، وبقايا قصور الرومان. أبناؤها قدّموا تضحياتٍ للوطن، دافعوا عنه بكلّ بسالة، سُمّيت أم الدنانير بهذا الاسم؛ لأنّها كانت مكاناً لصكّ النقود والعملة الأمويّة والرومانيّة.

أمّا أبناؤها اليوم، فمنهم من يعمل في الأعمال الحِرَفيّة والصناعيّة والزراعيّة، ومنهم من أصحاب الشهادات العليا، فكُلّ واحدٍ منهم يخدم وطنه وقريته في مكانه، وقد أنجبت أمّ الدنانير الكثير من المبدعين والكُتّاب الذين أبدعوا في رسم الكلمة وتصويرها، وإخراجها للقارئ كأنّها فيلم سينمائيّ.

أمّا أنا فمملكتي الصغيرة الساحرة تقع على سفح جبل أم الدنانير، حيث الهدوء والجمال، والأشجار الخضراء الباسقة التي تُحاوطنا من كلّ اتجاه، كأنّها جنود تحرسنا من أيّ خطر قد يداهمنا في أيّ لحظة، حيث إنّنا أقرب للسماء، والقمر أقرب لي من جيراني، وإنَّ النجوم تنتظرني كلّ مساء، كأنّنا على موعد لتستقبلني بسلسلةٍ رائعةٍ ولوحةٍ فنّيّةٍ مُعلَّقةٍ بالسماء؛ لتضيء مسائي.

مملكتي تُطِلّ من الغرب على جبال السلط البهيّة، ومن الشمال أرى شارع الأردن طويلاً وممتدّاً، نزولاً إلى مناطق الشمال، أمّا أمامي مدينة الأضواء، فهي ممتدّة من سهول أم الدنانير، متّصلة بقرية موبص وأبو نصير، وتمتدّ إلى الجبيهة وشفا بدران وصويلح، ألم أُخبركم بأنّني أقرب للسماء؟! أمّا خلفي، فهي غابة إسكندنافيا الصنوبريّة، فأنا أعيش بين أحضان الطبيعة.

كنتُ دوماً أسمع عن فارس الكلمة الرقيقة الجريئة، الشاعر نمر بن عدوان، فهو شاعر خرج من رحم قبيلة العدوان، وما يُميّزه بأنّه قد أثار ثورةً اجتماعيّةً وفكريّةً من أجل محبوبته «وضحا»، حكايتهم ملحمةٌ غراميّةٌ لا يمكن تجاوزها، وهذا ما زادني إلّا فضولاً بقراءة المزيد من قصائد (أمير شعراء الأردن في البادية)، والبحث والتجوال في أعماق حياته، ومن هنا أصبحت سهرتي لا تكتمل إلّا بقراءة جزء من أشعاره،

نمر بن عدوان

والاستماع بمشاهدة كلّ ما يخصّه من أغانٍ ومسلسلات دراميّة، وبرامج وثائقيّة، والاطّلاع على كلّ ما كُتِبَ عنه من كتبٍ ومقالاتٍ ومنشوراتٍ.

نمر بن قبلان العدوان من مواليد عام 1745، وقد بدت عليه منذ صغره ملامح الذكاء والفطنة، وتميّز بملامحه وجماله البدويّ، ما ميّزه عن غيره أنَّه كان كريماً صلباً، يحترم خصمه، واشتهر بفروسيّته ورجولته، واستخدامه المُتقَن للسلاح، وكان محبّاً للبريّة.

وبحسب ما رواه الكاتب روكس بن زايد العزيزي في كتابه (نمر العدوان شاعر الحبّ والوفاء)، فإنَّ أحد أصحاب الفراسة من البدو، لمّا رآه وهو في السابعة من عمره، قال: «يخزي العين والله إن خلن هالولد سود الليالي إنّه غير يصير شيخ ما مثله بالشيوخ».

أشعاره بليغة، وقد تميّزت معظم قصائده بأنَّها كانت موجّهةً لزوجته ومحبوبته «وضحا»، وتناول العديد من المواضيع في قصائده، منها الغزل والفخر، والرثاء والثناء، ممزوجة بالهمّ والأسى واللوعة التي لم تُفارقه، خاصة بعد وفاة زوجته، فالشعر بالنسبة له مساحة لرمي كلّ ما في قلبه، ولكي يشهد العالم بأنَّه لم يحبّ مثلها امرأة، وكان يردّد: «وضحا ما مثلها بالحريم».

وقد استلم أبو عقاب الزعامة مدة عشرين عاماً بلا منازع، وقد حاول خلالها جعل صفوف القبيلة متماسكة قويّة، ومع ذلك تخلّى عنها طوعاً حفاظاً على صفوف القبيلة وتوحيدها.

ما زادني ارتباطاً وتعلّقاً بشخصية نمر، هو احترامه وتقديره للمرأة، حتى إنّني وجدتُ عائلتي تسير على نهج أبي عقاب، فهو مدرسة للقبيلة، وقائد يُحتذى به، وبالرغم من شهرته الواسعة محلّيّاً وعربيّاً، إن كان ذلك بالشعر، أو بزعامته قبيلة العدوان، فقد كان أحبّ الألقاب لقلبه «أبو عقاب».

شاعر مرهف، مليء بالعواطف والأحاسيس الحقيقيّة التي تصل إلى القلب وتنبض به، قصائده قويّة تُعبّر عن شخصيّة فذّة، وتُظهر حنان قلبه وقوة كلمته، يستخدم السيف والكلمة معاً، هو قويّ، لكن في الوقت ذاته لا يظلم، زعيم قومه، لكنّه متواضع، استلم الزعامة، ولكن ليس بينه وبين قومه حاجز.

نمر بن عدوان تاريخه خالد مُعطّر بالشذى والشجاعة والأصالة، لدرجةٍ تتمنّى لو أنَّكَ عاصرته يوماً ما، ومن ثمّ وجدتُ نفسي أدرس تخصص العلوم السياسيّة؛ لكي أكونَ على تواصلٍ دائم بالحاضر، وأفهم الماضي، وأجمع خيوط المستقبل، وأكون دائماً القائدة التي تنظّم كلَّ عملٍ يُسنَدُ إليها بأمانةٍ وحبٍّ والتزام.

ومن ثمّ عملتُ في المجال الإعلامي، وتحديداً الإذاعيّ، وقد نفّذت العديد من البرامج السياسيّة والفنيّة، أشعرُ كأنَّ نمراً وقصائده وقريتي صقلت شخصيتي رويداً رويداً دون أن أشعرَ بذلك، أمّا عن مملكتي الخاصة، فهي لليوم تُمدّني بالسكينة والاستقلاليّة والعاطفة الشديدة.

كان لتجربتي بالعمل في الدائرة الثقافيّة لبلديّة عين الباشا، وذلك في عام 2018، بالتزامن مع فوز اللواء بمدينة الثقافة الأردنيّة، التعرّف عن قرب على الوضع الثقافيّ لأبناء اللواء، فلاحظتُ أنَّ اللواء غنيّ بالمثقّفين والمبدعين، ولكنّه فقيرٌ بالمرافق الثقافيّة والأدبيّة مثل المكتبات، ويخلو من قاعات مُجهّزة لعمل ندوات ومؤتمرات، ومن هيئة تنظيميّة تنظّم لقاءً دوريّاً بين المبدعين والمجتمع المحلّيّ من أبناء اللواء؛ للتعرّف على مُنجزاتهم الثقافيّة.

فالمبدعُ – حاليّاً – يُبحر وحده من خلال الشبكة العنكبوتية؛ كي يطوّر من قدراته الإبداعيّة، ويقرأ الكثير عمّن سبقوه من داخل الوطن وخارجه؛ كي يواجه مخاوف الفشل التي قد أوقفته عن الإنجاز يوماً ما، ويحافظ على الشغف ليحقّق ما يصبوا إليه، وكلّ ذلك كي يُعزِّزَ حضوره في هذا الوطن.

الثقافة هي البوابة لتحرير الوطن من أيّ تحدّيات وتغيّرات قد يواجهها في أيّ لحظة، بالإضافة إلى أنَّها حلقة الوصل مع جميع العالم، والمُثقَّف هو الدرع الواقي الثابت؛ وذلك لاشتباكه واطّلاعه على القضايا الداخليّة والخارجيّة التي تواجه المجتمع، فالعالَم لا ينتظرُ أحداً، بل إنَّه يشهد عدة تحوّلات سريعة ومخيفة، لذلك علينا تنمية قدراتنا وتعزيزها، وذلك بالاطّلاع على تجارب غيرنا، والانخراط في الورشات والندوات الثقافيّة.

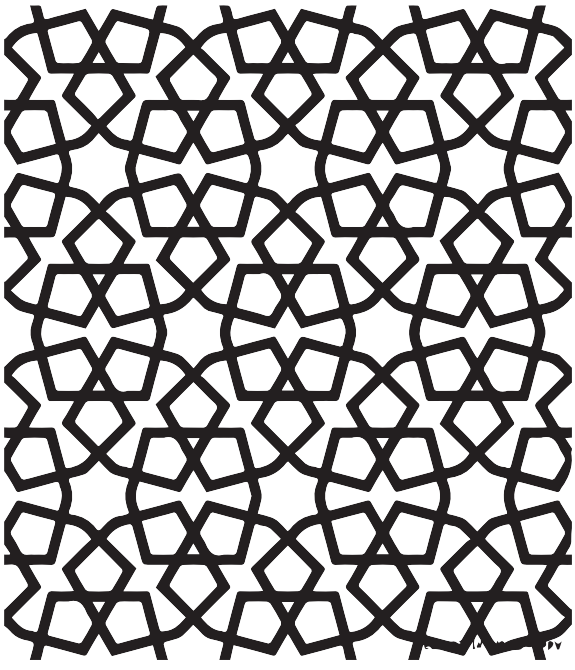

بيت أبو جابر/ الأردن

السلط مدينةُ القلمِ والمِبراة

رنـا غريزات

لعلَّ مـا يُميّـز محافظـة البلقـاء، وخاصـة مدينـة السـلط، الأماكـنُ المعنيّـةُ بالثقافـة والداعمـةُ للشـباب، منـذ بواكيـر الانطلاقة الأولى للثقافة، فطالما واكبت السلطُ حركةَ الثقافة العربيّـة، ولـم تتأخـر يومـاً عـن الركـب ثقافيّـاً واجتماعيّـاً في مسـيرتها، وهـذا حاضـر في المدينـة، ومنهـا المراكـز الثقافيّـة التـي تُعِـدُّ عـدداً مـن الفعاليّـات، بمشـاركة المنتديـات والهيئـات، والمراكـز الشـبابيّة والنسـائيّة التابعـة للمحافظـة.

وهـذا تـركَ أثـراً كبيـراً في داخلـي، وبالتالـي تطويـر كتاباتـي وميولـي إلـى المقـالات الثقافيّـة والاجتماعيّـة التـي تُحاكـي التاريخ والعـادات والتقاليـد الأصيلـة المُتجـذِّرة، ودراسـة الثـوب الشـعبيّ بـأدقّ تفاصيلـه، والأكلات الشـعبيّة، والكثيـر مـن الثقافـات التـي نفتخـر بهـا في مدينـة السـلط، لذلـك يؤثّـر المـكان بشـكل كبيـر علـى الكاتـب، ويسـاهم في تشـكيل طريقـة تفكيـره في الكتابـة، وتأثيـره علـى الإنتـاج الأدبـيّ.

وطبيعـة البلقـاء الخلّابـة التـي تجـذب كلّ مـن رآهـا، وسـكن في وجدانـه تراثهـا وسـهولها وجبالهـا، والمسـاحات المفتوحـة هـي بيئـة مثاليّـة للتأمّـل في تنـوّع تضاريسـها، هـذه الأماكـن تسـاعد علـى التركيـز وتحفيـز الإبـداع، ونسـج الكلمـات الجميلـة بحقّهـا، ممّـا جعـل هنـاك الكثيـر مـن كتّـاب السـلط، الذيـن يتمتّعـون بحـسّ ثقـافيٍّ إبداعـيّ، والانغمـاس في العمـل الكتابـيّ، فـكان لهـم تأثيـر ودور قـويّ للإلهـام والتطـرّق إلـى المواضيـع الثقافيّـة المتنوّعـة التـي تحاكـي طبيعـة البلقـاء ومكانتهـا وتراثهـا.

مدينـة السـلط أنجبـت الكثيـر مـن الكُتّـاب عبـر التاريـخ، مـا زالـت ذكراهـم وإبداعاتهـم في وجداننـا، وتركـوا بصمـة عـزّ وفخـار نتغنّـى بهـا إلـى يومنـا هـذا، منهـم الكاتـب حسـني فريـز، الـذي كان محبّـاً لوطنـه، ولـه كتابـات عـدة في الأدب والشـعر والقصـص، والكثيـر مـن المؤلّـفات المميّـزة، توجّـه أيضـاً إلـى العمـل الصحفـيّ، وكانـت آخِـرُ مقالـةٍ لـه، قـد كتبهـا قبـل وفاتـه

بيوم واحد. وأيضاً الكاتب الكبير ناهض حتّر، الذي كانت كتاباته تمتاز بالأفكار المُثيرة للجدل والمميّزة عن غيرها، ممّا دفعني إلى قراءة مقالاته وكتبه، وكان لها تأثير واضح، منها كتاب (المعزّب ربّاح).

كان لهؤلاء الكتّاب مكانة كبيرة في قلبي، والكثير من العرفان بالجميل والشكر؛ لتأثيرهم في قدرتي على الكتابة الأدبيّة المتوازنة والشاملة التي تُحاكي حبّي لوطني ودراسة ثقافة أبنائه.

وممّا فتح آفاق كتّاب السلط وتشكيل الوعي ومنسوب الثقافة، والانخراط في قضايا الشأن العام والساحة الأردنية، قربُ المحافظة من العاصمة عمان؛ وذلك بحضور الدورات والندوات والفعاليّات، والمعارض والمهرجانات والأنشطة الثقافيّة، ممّا أدّى إلى تطوير المكنونات الإبداعيّة في داخل كلّ كاتب، والاندفاع إلى التميّز في مواضيعه، بل وتكوين نفسه في أسلوب كتابته، فأصبحت تشبهه.

عند قراءتي واطّلاعي على تاريخ مدينة السلط ثقافيّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً، والجلوس مع كبار السّنّ وأخذ المعلومات المهمّة عن مدينتنا الحبيبة، أيقنتُ وتأكّدتُ أنَّ السلط مدينة الأوائل، ففيها أول مدرسة بُنيت بعمل تطوعيّ، وأول مسرح في المملكة، وأول مجلة ثقافيّة في مدرسة السلط الثانويّة، وأول مؤسّسة إعمار للسلط، وأول وثيقة شعبيّة للعادات والتقاليد، فهي بمثابة تاريخ ثقافيّ ينبثق من مبانيها القديمة الشامخة، التي ترسّخت في بيت كلّ سلطي، وتركت في وجداننا التعمّق في أحجارها الصفراء التي تُحاكي تاريخاً يحمل في طيّاته ثقافة أجيال مرّت من هناك، حملت راية العلم، ونقشت حبّ الوطن نسيجاً متيناً نباهي ونفتخر به إلى يومنا هذا، وتُلهم كلّ مَنْ مرّ في أزقتها بسرد حكايات البيت القديم، ودكاكين الحارات، وأسواقها العتيقة، والمقاهي التي كانت تعجّ بأصحاب العلم والمعرفة والسُّلطة، وما تزال ملامحها إلى يومنا هذا رغم ما حدث من تغيّرات عمرانيّة وحضاريّة.

ومع تطوّر التكنولوجيا ووجود وسائل التواصل الاجتماعيّ وتعدّدها، سهّل ذلك عبور ثقافتنا إلى الدول الأخرى، وخاصة الدول العربيّة؛ لوجود تشابه في ما بينها، فأصبح سكان تلك البلدان يتعمّقون في مواضيع عدة عن ثقافة المنطقة وتراثها، وحبّهم لمعرفة المزيد.

ومن خلال قراءتهم لأكثر من مقال لي، وتواصلهم معي لزيادة معلوماتهم عمّا قمتُ بنشره، واستفساراتهم عن عاداتنا وتقاليدنا ولباسنا، تناولنا الكثير من الموضوعات، وتطرّقنا إلى موضوع التبادل الثقافيّ بين الدول، وتمّ بعد ذلك في مدينة السلط عن طريق برنامج (هندرة)، تبادلٌ ثقافيٌّ بتنسيق مدير البرنامج مع الدول المجاورة، وكنتُ أنا من الفوج الثاني لهذا البرنامج في ذلك الوقت.

وهندرة هو برنامج لإعداد القيادات الشبابيّة وتعلم اللغة الإنجليزيّة والتبادل الثقافيّ في المجتمع، فكان البرنامج يوفّر للشباب مشاركة إبداعاتهم الثقافيّة، والتعبير عنها بشكل بنّاء، والتحدّث عن عادات وتقاليد المحافظات بشكل عامّ، ومحافظة البلقاء بشكل خاص، مع الدول العربيّة المجاورة، ممّا أدّى إلى استكشاف جوانب مختلفة من الثقافات والتفاعل معها، والوصول إلى وجهات نظر كثيرة، وتعميق فهمهم للمجال الثقافيّ، واكتشاف الكثير من الكتّاب الشباب.

وفي شهر تموز 2021، تمّ إدراج مدينة السلط إلى قائمة التراث العالميّ؛ نظراً لأهميتها في إظهار خصائص التسامح والعيش المشترك والرعاية الاجتماعيّة بين سكانها، وقرب المساجد والكنائس من بعضها بعضاً، وتضمّ أيضاً أكثر من 657 مبنىً تراثيّاً، مع البيوت المعماريّة القديمة ذات الحجر الأصفر، والأسقف المُقبّبة، والنوافذ المُقوَّسة التي لا يوجد مثيل لها في المدن والقرى الأردنيّة، وهذا دفع الكتّاب إلى أخذها بعين الاعتبار كأولوية لكتاباتهم، والترويج لها بطرق مختلفة.

ودائماً نقول: السلط سلطانة، فهي إرث الماضي، وتميّز الحاضر، وعشق لساكنيها، وتستحقّ منّا الاهتمام والعناية، والظهور بأبهى صورة، ونبحث نحن – الشبابَ – عمّا يميّز مدينتنا، لكنَّ السلط هي التي تميّزنا وتطوّر أفكارنا، وتُنشئ كتاباتنا، وتُطلق مهاراتنا وإبداعاتنا إلى عنان السماء، وتُلهمنا كلّ ما هو جديد وفريد، فهي مدينتي الشامخة، الراسخة الثابتة، الجميلة، وسأبقى أكتب عن السلطانة مدينتي العزيزة، ونحن دائماً نردّد بلهجتنا: «أبيش أحلى من السلط».

وفي النهاية نحن مقتنعون بأنَّ الكتّاب الشباب في المحافظة يملكون إمكاناتٍ كبيرةً لتغيير المجتمع للأفضل، وإلهام الأجيال القادمة بصورة أجمل، نتطلّع إلى رؤية المزيد من الدعم والتشجيع لكلّ الكتّاب الشباب الموهوبين، ونتمنّى لنا ولهم المزيد من التوفيق والنجاح دائماً في مستقبلنا الكتابيّ.

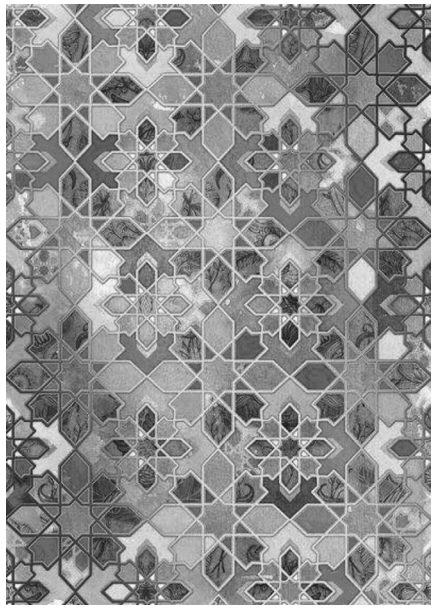

من غاباتِ جلعد إلى شذراتِ الذَّهب

ميسون العواملة

السنديانةُ أيقونةُ الشوارع في جلعد، تمنح عين الرائي طمأنينة البقاء في كلِّ الفصول، تسكُنُها تغريداتُ البلبلِ والدّوري وأبو زريق، ولا تخلو أغصانها الوارفة من أحاديث جانبيّة لطيور زائرة هنا وهناك.

تتوالف أشجار السنديان الداكنة الخضرة، وتصطفُّ أشجار الزيتون في الحقول كصفوف من العساكر الوفيّة للأرض، وتميلُ أشجارُ «اللزاب» الباسقةُ مُثيرةً بعطرها الزكيّ وحفيف أوراقها نسائمَ الريح الجبليّة العليلة، فتجلس تحتها العوائلُ هرباً من ضغط المدينة نهاية الأسبوع، ويتنعّم بظلالها المتسامرون ليلاً.

هذه الطبيعةُ النقيّة لجلعد حفّزت المخيّلة؛ لتُسجّل الصور الجميلة في ذاكرتي وتُغنيها بمفردات المحبّة السخيّة، فعكست أولى الخواطر التي كتبتُها في حصص التعبير البيئة البرّيّة الساكنة والحالمة، وقيمة الجمال، ثم شكّلت القراءةُ في المرحلة الإعداديّة للكتب الأدبيّة والشعر الحُرّ مخزوناً من أساليب الكتابة الإبداعيّة، وموسيقى الشعر الحرّ، والمفردات الغنيّة.

وكان لدعم موهبتي الفتيّة - آنذاك – من قبل معلمة اللغة العربيّة الأثرُ الطيّب في منحي ثقةً وفضولاً لأستمرّ في تحسين ما يُنتجه قلمي مرةً عن مرة، ولاكتشاف المزيد من الأعمال الأدبيّة من أبرز الكُتّاب العرب والمحليّين، مثل

كتاب (الأيام) للكاتب المصريّ طه حسين، والأعمال الكاملة للشاعرة العراقيّة نازك الملائكة، والشاعر الفلسطيني سميح القاسم، إلى دواوين الشعر الموزون للمتنبي وأبو فراس الحمداني، مروراً بشعراء الوطن كـ«عرار» في ديوانه (عشيات وادي اليابس)، والشاعر حيدر محمود في أجمل قصائده المُغنّاة «أرخت عمان جدائلها»، والشاعر سليمان المشيني في أعماله الإذاعيّة والقصائد المُغنّاة، مثل قصيدة «أنا الأردن»، حيث شكّلت مُنتَجاتهم الشعريّة – روحاً واحدةً – محبّةً تعكس الوطنيّة الصادقة في أبهى الصور الشعريّة.

من المشاهد الخالدة أيضاً في الذاكرة، صورة معالي المرحوم «علي الفزاع» العوامة على شاشة التلفزيون الأردنيّ وهو يقرأ الشعر الحرّ قبيل أخبار الثامنة بدقائق كلّ ليلة، وربما يكون أول شاعر محلّيّ من محافظتي أراه في طفولتي المُبكّرة، وبعد عدة سنوات وجدتُ ديوانه (نبوءة الليل الأخير) في مكتبة بيتنا، فقرأته، وفيه يظهر تعلّقه بطبيعة قرية (زي) مسقط رأسه، وتتشكّل قصائده من مفرداتها، فتكثر السنابل والحقول، وزهر اللوز، وشجر الليمون، والسنديان، والتين، والدوالي، في سطور القصائد المُهداة لروح والدته، وهذا مقتطف من قصيدته «رؤيا على الرصيف»:

زي يا طيراً منسيّاً يتوجّع في كلّ الوطن العربيّ

من أين أجيئكِ حينَ أنينُكِ مثلُ الجمرة

يسقط في رئتي؟

من أين أجيئكِ يا وجعي، يا هَمّ القلب

غامت عيناي، وضاع الدرب

فأجيبي يا وشماً أبديّاً فوق يدي.

تطوّرت موهبتي في التعبير والكتابة الإبداعيّة، من خلال مشاركاتي في المسابقات آنذاك، وقد حقّقتُ الفوز في مجال القصة القصيرة، ثم تلتها جوائز أخرى في مجال الإبداع الشعريّ في المرحلة الجامعيّة في الجامعة الأردنيّة وجامعة العلوم والتكنولوجيا، وحملت هذه الأعمالُ الشعريّةُ انعكاساً لبعض الأحداث السياسيّة في تلك الفترة، حيث كانت لي قصيدة بعنوان «عين راء باء عرب»، تتحدّث عن سقوط العراق، وقد نشرتُها لأول مرة في صحيفة الدستور عام 2003.

بالإضافة إلى المشاركة في المهرجانات والأمسيات الشعريّة في مدينة السلط، وكنتُ أرتاد حينها مكتبة بلديّة السلط في وسط المدينة؛ لغناها بالكتب التي تتحدّث عن السلط وتاريخها، فقرأت للدكتور محمد العطيات كتاب (السلط تاريخ وشخصيات)، وعدداً من أشعاره التي تعكس قيم التسامح والكرم لأبناء المدينة، وهذا مقتطف منها، من قصيدة «السلط»:

السّلطُ تمنحُ للعروبةِ زهوَها تقبل الأحرارَ بالأحضانِ

دينُ العروبةِ والتّسامحُ دينُها في السّلطِ دينُ اللهِ لا دينانِ

والنّاسُ فيها مسلمونَ ثقافةً والكُلُّ فيها مسلمٌ نصراني

ولأنَّهم أتباعُ رُسّلِ سمائها هم في صميمِ شريعتي إخواني

تتناغمُ الأديانُ فوقَ فضائها في قرعِ أجراسٍ وصوتِ أذانِ

السّلطُ تفتحُ للضّيوفِ ذراعَها ولهم بصدرِ البيتِ طيبُ مكانِ

أمّا الكتب التي تحدّثت عن العادات والتقاليد، مثل كتاب (العادات والأوابد الأردنيّة) للمؤرّخ روكس بن زائد العزيزي، وكتاب (السلط: ملامح من الحياة اليوميّة للمدينة)، وكتاب (الأمثال الشعبيّة) للدكتور هاني العمد، فقد كان لي نصيب الاطّلاع عليها من خلال مكتبة جدّي، حيث كنتُ أقضي العطلة الصيفيّة في بيته المُطلّ على مدرسة السلط الثانوية للبنين، وأجلسُ متأمّلةً جبالها: (الجدعة، والعيزرية، والمنشية)، المرصوصة البنيان بلون الذهب، مشكّلةً لوحة لروح التلاحم الذي يجمع أبناء السلط، في ما تُشكّل أنوارها ليلاً عقوداً من الأنوار المُلوّنة التي تُزيّن جيد المدينة الحسناء.

ثم انشغلتُ في المرحلة الجامعيّة في دراسة اللغة الإنجليزيّة، والانفتاح على الأدب الإنجليزيّ وعالَم الترجمة الواسع، وبناء الخبرات العمليّة، وأسهم المخزون اللغويّ في نجاحي في مهنة الترجمة لاحقاً.

أمّا عن دخول العالَم الافتراضيّ في عام 2009، فهو البوصلة التي وجّهتني لنشر المقالات والقصص والتراجم عبر المواقع الإخباريّة المحليّة والعربيّة، وكان لقرب المحافظة من العاصمة دور إيجابيّ في الوصول إلى الأمكنة والفعاليّات الثقافيّة، والتواصل وجهاً لوجه مع الكُتّاب الصحفيين المحلّيين والشعراء الأردنيّين والروائيّين، الذين حظيتُ بلقائهم وجهاً لوجه، مثل الشاعر والروائيّ جلال برجس، والشاعر محمد سمحان، والروائيّ مفلح العدوان، والمرحومة الروائيّة ليلى الأطرش، والروائيّة سميحة خريس.

وأيضاً كان لي اللقاءُ مع مخرجي المسرح، منهم خليل نصيرات، والكاتب الساخر كامل نصيرات، وكنتُ أجد سعادتي في الحصول على توقيع مؤلّفاتهم في مختلف المحافل الثقافيّة. كما تعرّفت على المكتبة الوطنيّة، والمركز الثقافيّ الملكيّ، ومركز الحسين الثقافيّ في رأس العين، ومكتبة عبد الحميد شومان في جبل عمان، إضافة إلى بعض الأماكن التي كان يرتادها المُثقَّفون بشكل دوريّ، مثل المقاهي العتيقة في جبل اللويبدة ومحترف رمال.

بلا شكّ ازدهر الحراك الثقافيّ من خلال النشر الإلكترونيّ مع ظهور موقع فيسبوك، وكان الحضور ممتازاً لهذه الفعاليات، لكنَّ تزايدَ عدد المستخدمين، وبعض التغيّرات التي شهدها الموقع من خلال إضافة الصفحات التجاريّة الإخباريّة، قلّلَ ذلك من التركيز على هذه الأنشطة عموماً.

أمّا في ما يخصّ المحافظة، فتوحيد جهود الهيئات الثقافيّة منوط بمديرية ثقافة البلقاء، التي أسهمت في تنشيط المدينة، وإنشاء المهرجانات الشعريّة والثقافيّة، مثل (مهرجان السلط الأول)، و(مهرجانات الشعر النبطيّ). لكن لا بدَّ من مزيدٍ من الدعم والرعاية لهذه المحافظة الغنيّة، فمن خلال تحديد رؤية مستقبليّة تتمثّل في خططٍ لعدة سنوات، تحتضن الموهوبين وتصقلهم.

كما أنَّ المدينة تستحقُّ أن يكون فيها معهدٌ يُعنى بالرسم والموسيقى كجزء من الصناعات الثقافيّة أيضاً، بالإضافة إلى تفعيل صندوق ثقافيّ وجوائز أدبيّة سنويّة ثابتة لأهمّ الروّاد في الشأن الثقافيّ في المدينة؛ إنصافاً لهم وعرفاناً بجهودهم، ولأجل التعريف بهم أمام الأجيال الجديدة كجزء من إرث المدينة وروّادها السابقين، وعدم اقتصار ذلك على الروّاد السياسيين، كما أنّه لا بدّ من إنشاء مجلس يجمع كافة المساهمين في الشأن الثقافيّ في المدينة، حيث إنَّ توحيد الجهود يُسهم في رفع جودة المخرجات الثقافيّة، وليكن ذلك تحت مظلّة وزارة الثقافة مُمثّلة بمديريّة الثقافة في محافظة البلقاء، والجدير بالذكر أنَّ الثقافة لا تقتصر على الكتابة الإبداعيّة، لكنَّ التركيز هنا عليها هو من باب ما اختبرته في هذا المجال، فلا بدَّ أيضاً من التركيز على الموازنة بين مختلف الصناعات الثقافيّة، ودعم روّادها باتّزان، ممّا يُمكّنها من النمو المتكامل.

كما أنَّ إعادة الاهتمام بالشأن الثقافيّ كسابق عهده، يتطلّب ذلك استخدام أدوات العصر الحاليّ من خلال النشر المرئيّ «الفيديو» عبر منصّة اليوتيوب ضمن مدة زمنية معقولة، ولا بدّ من المواكبة المستمرّة وصولاً لأدوات الذكاء الاصطناعيّ.

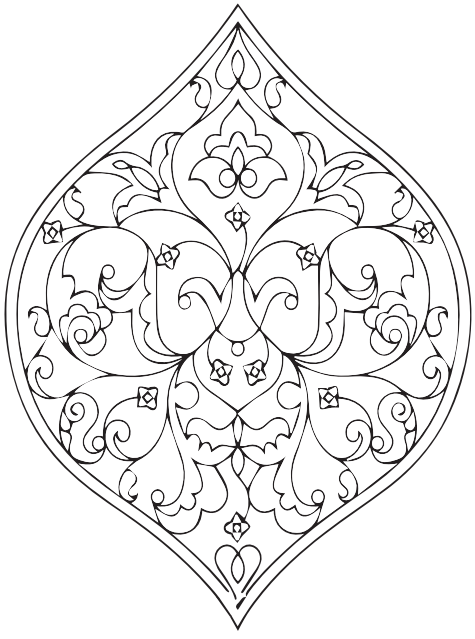

قريةُ الصبيحي/ الأردن

قريةُ الصبيحي منسيّةٌ! لكنّها في قلوب شبابها تحيا

ابتسام المناصير

بنظرةٍ واثقةٍ ولهجةٍ مُحبّبة للأُذن: «أبيش أحلى من السلط»، هكذا يُردّد السلطيّة مراراً وتكراراً تعبيراً عن حبّهم لمدينتهم، إذ كثيرٌ من الأطفال من محافظات أخرى أصبحوا يُردّدون نفس الكلمة: «أبيش»، بمعنى ما في أحلى من السلط، وفعلاً ما في.

أول ما يواجهك نزولاً طريق العارضة، ذلك البيت العتيق المصبوب صبّةً إسمنتيّةً، وفراش ببساط أحمر ممدود على حدّ معرّش الدالية، ذاك البساط الأحمر الدسم نسجته أيادي الجدّات في خواصر بيت أهلي الصغير في قرية الصبيحي، القائمة على سقفه أحداث الأجداد والآباء، دُقّت على أوتاده هنا وهناك، فكانت الأساسات في ذلك الوقت.

السلط المدينة الخالدة في وجدان أهلها الطيّبين، لها عشّاق كثر من مختلف أنحاء العالم، من خلال ذكرياتهم فيها، منهم من اتجه لسرد تفاصيلها حبّاً لقراها ووديانها، كان فيهم العاشق المُتيّم لتاريخها الجميل، إنَّها جوهرة البلقاء الأردنيّة.

قرية من قرى مدينة السلط، تُعرف بِـ«الصبيحي»، يسكنها أهلها الكرام من عائلات مختلفة، منهم المناصير، والغنانيم، والنعيمات، والكثير ممّن عاشوا فيها وشهدوا أحداثها على مرّ الزمان بعبق تاريخها الأصيل.

من يؤثّر على الآخر؟ الكاتب أم المكان؟

ربما كان عليَّ أن أختار الصبيحي كغيرها من القرى المجاورة؛ وذلك لأنَّ الأماكن ليست مجرّد مدن وأحياء، وأزقة قديمة تحمل عبق الماضي، هي تاريخ مملوء بالأحداث، وبالقضايا الإنسانية الكثيرة التي تُزرع في النفس؛ لتثبتَ وتعيشَ أجيالاً بعد أجيال.

كُتّابٌ وروائيّون كثر تغنَّوا بالمكان، كما احتفى هو بهم ذات مرور أو إقامة فيه، وكثير منهم شغلهم السرد للأحداث في أعمالهم، فلم يُعيروا أهميّةً للمكان الذي يشغل حيزاً من الحدث، مثلما فعل مؤنس الرزاز يوماً ما.

عندما أتحدّث عن المكان وتأثيره، أجد أنَّه لم يكن مقتصراً على المدن العريقة في السلط فحسب، ولا على الأحياء الشهيرة فيها، بل هناك مَنْ كتب – وما زال – يكتب ليخلّد مكانه القابع في دهاليز النسيان، فنفض عنه الغبار؛ ليُظهر جماليّاتِه وعراقتَه وما قدّمه، سواء أكان سلبيّاً أم إيجابيّاً.

ربما كانت الصبيحي من الأماكن التي أوصلتني للشهرة، من خلال عملي وانخراطي في بيئة العمل، وإبراز قصصها وآلامها، وأماكن أخرى مهملة تناولتها للعلن دون تردّد، فكانت بوّابة للعبور، فباتت مَعْلماً واضحاً في ذهن كلّ من عرفني. المكان ما زال يترك فينا الأثر، إلّا أنَّ ذلك الأثر يتفاوت من شخص لآخر، إذ يعتمد على آمالنا وأحلامنا ورغباتنا، فيتحوّل ذلك التأثير إلى مواد صالحة للكتابة.

عن نفسي اكتشفتُ أنَّ وجودي خارج أسوار قرية الصبيحي، جعلني أرى الصورة بشكل أوضح في المركز، الأمر الذي مكّنني من المضي قدماً بدون أي تردّد، فلا إنجاز بدون مكان يصنع ويرتقي فيك إلى ما حلمتَ به يوماً.

أمّا بالنسبة لثورة الاتصالات، فإنّها كشفت أبعاداً في هذا المجال، خاصة للمرأة الأردنيّة في القرية البسيطة، من خلال ما وفّرته من منصّات إلكترونيّة من شأنها الحصول على المعلومة النافعة، سواء على المستوى الوطنيّ أو العربيّ، والتفاعل معه، ومشاهدة نفسها على أنَّها جزء لا يتجزّأ من مجتمع أوسع، إذ ساعدت هذه الثورة على هدم الحدود التقليديّة للزمان والمكان، واختزلت وطأة الهيمنة الاستبعاديّة لنا كشباب من مختلف المناطق، ورفعت سقف حريّتنا، وانعتاق البعض من قيود رسمتها البنى التقليديّة.

وعليه فقد انعكست تلك هذه الحالة على كلّ المستخدمين، ولا سيما النساء القرويّات، ممّا جعلها أكثر وعياً بقضايا مجتمعها، وقلّل حالة الاغتراب والعزلة، فجعلها ذلك أكثر قدرة على الحوار والمناقشة كما أنا الآن.

لقد طال الثقافة نصيبها من رؤى، من خلال روائيّين وكُتّاب من جيلٍ شبابيٍّ واعدٍ، ولو نظرنا إلى المستوى الثقافيّ الأردنيّ في القرى على وجه الخصوص، لوجدنا أنَّ جميع المبادرات الثقافيّة، والاهتمام بالمشاريع الكبيرة التي تُشكّل البنية التحتيّة للعمل الثقافيّ الناجح والمتطوّر، أصبحت تتمركز في المركز فقط، لكن لأنّني شابّةٌ أطمح في أن تصل هذه المبادرات الثقافيّة لأبعد ما يمكن إيصاله؛ لأنَّ هناك الكثير في جعبة الشابّ القرويّ ليقدّمه لوطنه، فالأقلام النسائيّة في القرية ما زالت تنبض بالأمل، وتكتب كثيراً، وما أكتبه الآن بدون صوت خافت، ودون خجل دليل على ذلك.

ابتسام ابنةُ عائلة قضاء العارضة من قرية الصبيحي، عُدَّت من النساء القليلات اللواتي كسرن القاعدة وتمرّدن على الظروف؛ لرصد تفاصيل حياتها لأطفالها مستقبلاً، وأهمّ مرحلة حياتيّة وتاريخيّة مهمّة من عمرها الذي اشترته بالعزم والإصرار.

استكملتُ تعليمي في عمرٍ متأخّر بعد انقطاع دام سبعة عشر عاماً؛ وذلك لصعوبة الأوضاع الاقتصاديّة في تلك الفترة، لكنّني قاومتُ ونسجتُ المأساة؛ لأنسجَ واقعاً مختلفاً لي ولأسرتي، واقعاً تعايشتُ معه، بالرغم من أنَّه كان يؤلمني وينغصّ عليَّ، إلّا أنّني لأمتُ الجرح وأكملت المسير، امرأة مكافحة مثقّفة عاملة، أمّ على مختلف أدواري، كان لي الدور الأكبر والبارز في مجتمعي، وهو الدفاع عنه.

وبالرغم من الدور الرئيسيّ الذي تلعبه المرأة الأردنيّة القرويّة في الحياة المجتمعيّة، فإنَّها ما زالت تكافح الإكراهات والصعوبات التي ربما تجعلها تقاسي في حياتها اليوميّة،

وتحول دون تمتّعها بحقوقها، ولو عُدنا إلى الأساس، لوجدنا أنَّ الإقصاء الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ التي تعرّضت له المرأة في بيئة القرية، يؤكّد أنَّ الأعمال الشاقّة التي هي من اختصاص الرجل، كانت تقوم بها عوضاً عنه.

أتحدّث هنا عن معاناة المرأة وأنا جزءٌ منها، ولا يمكنني أن أنفصلَ عنها أو أتبرَّأ من دفاعي عنها؛ لأنّني كنتُ – وما زلتُ – جزءاً من هذه المعاناة يوماً ما، لكنّني تمرّدتُ وسهرتُ وتعلّمتُ؛ لكي أصلَ لمرحلةٍ متقدّمةٍ جعلتني أؤمن بأن لا مستحيلَ مع الله وقدره.

استلهمتني فكرة الكتابة عن قرية الصبيحي لأول مرّة في حياتي، فلم أعلم أنّني كنتُ سأروي للقارئ العزيز عن جمال قرية الضّباب كما يُسمّيها البعض في فصل الشتاء، فهي المُلهمة لي كِ(ابتسام)، تلك المرأة التي تمرّدت على الظروف، وكسرت قالب المرأة القرويّة؛ لتهبَّ إلى مركز المدينة حاملةً معها أحلامها وطموحها، ومُحقّقةً ما تصبو إليه.

فمثل ذلك التناول في الكتابة عن القرى والمدن مهمّ، وواجبٌ علينا أن نتكامل معها ونكون الجزء الأصيل من تلك الرواية والتاريخ من الإنسانيّات، ولمثل تلك الروابط، ولكي يتكامل بعضها مع بعض، ولتؤلّفَ مقاربةً متشعّبةَ المباحث تجاه العلاقة البالغة والأصالة بين الإنسان وبيئته.

الصبيحي.. أحببتُ تلك القرية بشغف، ولا ريب في أنَّ السبب في ذلك هو أنّني من أهل الوسط، وأحذو في ذلك حذو مَنْ سبقوني في هذا السبيل، لقد كرّستُ سنواتٍ طويلةً من عمري في اكتشاف تلك القرية البسيطة والرقيقة بأهلها وأجوائها الدافئة، فكانت وما زالت مُمتعةً، هناك في بيت والدي، آمل أن يشعّ بالمقابل بعض المتعة وقدر كبير من شمس البساطة والأصالة الساطعة على صفحات هذا العدد من المجلة.

كانت هذه ابتسام الابنة والأم والعاملة التي كتبتها الظروف والتجارب على صفحات الأيام، ها أنا اليوم أشارك هذا الحبّ لقريتي، وتنتابني الدهشة بما أحمله في داخلي من مفردات ومعاني تجاهها، ففي كثير من الأحيان نجد أنَّ الكُتّاب الجدد – بصفةٍ عامّةٍ – كانوا أقلَّ وعياً ممّا يجب بالأهميّة الحيويّة لمدنهم وقراهم وتاريخهم الخاص، فنحن نأخذ على نحوٍ ما، البيئةَ الجغرافيّةَ المحيطةَ بنا على أنَّها أمرٌ مسلّمٌ به، لا سيما القرى التي يقع في القلب جزءٌ منها.

شخصيّات فذّة

الشخص الفذّ هو المتفرّد في مكانته أو كفاءته، وهنا سوف أتحدّث عن شخصيّة أعتبرها – ويعتبرها معظم مَنْ عاصروها من أبناء قرية الصبيحي، من أهالي السلط القدامى – شخصيّةً فذّةً بمعنى الكلمة.

إنَّ مجالات تألّق هذا الشخص وتفرّده، باتت مختلفةً أشدَّ الاختلاف ومتنوّعةً للغاية، بدءاً من الكتابة الصحفيّة والأدبيّة، وانتهاءً بالسياسة التي تتغنّى ببسالته وشجاعته في زمانه، وحتى الصيت الذي بات يلاحق أحفاده إلى هذه اللحظة، فهو كان يتمتّع بدون استثناء بحبّ الخير للناس، وتقديراً لهذا وقع الاختيار عليه والكتابة عنه، فهو مصدر سرور وفائدة لمن يقرأ تاريخه بدقّة.

ليس الهدف من كتابة أيّ من هذه البطولات الإحاطة بالشخصية من كافة جوانبها، وإنّما لمست فقط بعض جوانب أثّرت في قرية الصبيحي بوجه خاص، أو لمسها أبناؤها من خلال معرفتي بهم، وربما لم تُتَحْ معرفة هذه الجوانب لغيري من سكان تلك القرية أو المحافظات المجاورة، فكتابتي هذه قد تكون من الواجب أن أعترفَ وأعرّفَ بها مَنْ لم يكن يعرف.

الشيخ شاكر محمد الطالب رحمه الله، أحدُ وجهاء ومشايخ عباد، زعيم وطنيّ وقوميّ يُخلَّدُ اسمه في ذاكرة التاريخ، أدام اللهُ عليه في تلك الفترة الهيبةَ والحضورَ المتميّزَ، في صوته قوة، وفي وجهه لمعان، كان استثنائيّاً في شخصيته المؤثّرة في المجتمع بكافة فئاته، مهما كانت أعمارهم، كان ملهماً – وما يزال – يحمل هموم القضايا الوطنيّة والعربيّة، وخاصة القضية الفلسطينيّة، فغرسها في نفوس الشباب، ورسم لهم طريق الوطنيّة والقوميّة التي سيتبعونها جيلاً بعد جيل.

وساهم في المصالحة، حيث كان يتوافد عليه الناس من كافة مناطق المملكة وخارجها لمدّ يد العون لهم، إذ كان يدافع عن الحقّ بالحقّ، كما ساهم في تعليم العديد من طلاب العلم من خلال علاقاته الدبلوماسيّة مع العديد من الشخصيات البارزة في العراق، كان يحبّ الأرض، فأخذ على عاتقه استصلاح الأراضي الزراعيّة.

وسافر إلى مصر لإحضار أنواع معينة من أشجار الزيتون وتوزيعها على أهل المنطقة لزراعتها، وحضر العديد من المؤتمرات الزراعيّة في مصر في سبعينيّات القرن العشرين، والمؤتمرات الوطنيّة في العراق.

وعُرِفَ بإغاثة الملهوف، حيث عبّر عن أروع معاني الفروسيّة والإنسانيّة في مواقف مشرِّفة عرفها أهل المنطقة، وهو شخصيّة وطنيّة تميزت بذكائها ومهارتها، حيث تجاوزت إنجازاتها حدود الوطن، قاد قبيلته بعد وفاة والده وعمره 25 سنة، وبقي حتى آخر نَفَسٍ من حياته مدافعاً عن الثوابت، وأهمّها الموقف الوطنيّ لتحرير فلسطين وكلّ شبر من أراضيها.

إنَّ للموسم من كلّ سنة طقوساً معينةً، وتنفرد فيها الصبيحي عن غيرها من القرى المجاورة، يجتمع الأهل والجيران على موسم قطف الزيتون، إذ يُمسكُ كلُّ فردٍ من أفراد العائلة شجرة زيتون يُداريها كما يداري الابن طفله الصغير، يُعتبر هذا الموسم بمثابة عيد للعائلة الأردنيّة والسلطيّة خاصة، وسط أجواء فرحٍ وسمرٍ، الأمر الذي يجعل من تلك الأيام كالموعد المنتظر، الذي يتمنّى الجميع قدومه بفارغ الصبر، بصوت منخفض كان والدي يُدندنُ الهجيني تحت أغصان الشجرة الكبيرة، فهي تُعتبر أهازيجَ خاصّةً لهذا الموسم المبارك، ستبقى شجرةُ الزيتون لقرية الصبيحي مرتبطةً بشكلٍ وثيق بالوجود لأهالي تلك القرية، وبالتاريخ والهُويّة.

قريةُ الصبيحي/ الأردن

لوحة الفنان سلام كنعان/ الأردن

السلط عاصمة الأوّلين

رنـــا حداد

عندما يتحدّث العاشقُ والمحبّ عن محبوبته، فكيف إذا كانت المحبوبة أسمى من كلّ حبّ، حبّها متجذّر في الفؤاد والوجدان، حبّها نما منذ الصغر، ويكبر في القلب كلّما مرّ الزمان، كيف إذا كانت المحبوبة (السلط) ؟ وكيف إذا كان المُحّب (قلب كاتبة) ؟

السلط ليست فقط قطعة أرض في مساحة جغرافيّة، ملامحها كثيرة، غنيّة بالثقافات المختلفة، ثريّة بالمتناقضات المُؤتلفة، مليئة بالعادات والتقاليد، إذ إنَّها كما قال عنها أحد الرحّالة: «لو طفتَ العالمَ كلَّهُ في وضح النهار ومصباحك في يدك، فلن تجد على وجه هذه الأرض مكانًا فيه هذا العدد القليل من الناس، وهذا العدد الكثير من الحبّ». ولكي نقفَ على مختصر الوصف، نردّد ما كتب «سلطي» ذات لحظة عشق:

«لوقّف على جبال السلط وأشرف على الوادي
وأتمشّى بكروم العنب وأنشق هوا بلادي
وأقطف من قطوف العنب وأطعم أنا أولادي
والتين ساعات الندى خضاري مع سوادي
وأرفع كفوفي للسما وأطلب أنا مرادي
يديم عزّك يا سلط ويرحم أجدادي».

السلط وطيّبات هذه المدينة الرائدة بناسها وطبيعتها التي جمعت اختلاط مرتفعات حجريّة مع أراضٍ زراعية شاسعة، قوامها أشجار العنب والرمان والتين، لا سيما على امتداد وادي شعيب وطريق السلط. لعلَّ حارات وأحياء السلط شاهدة على تمسّك الأردنيّ بوطنه وهُويّته، تعطي بجماليّتها شهادة حيّة على أصالة أشخاص همّهم البيت والعائلة الكبيرة الممتدّة.

البيت الكبير من أبرز ملامح البناء القديم في السلط، «العقد» أو البيوت القديمة، هذه التي منها أُطلِقَ على المدينة اسم «المدينة الذهبيّة»، التي امتازت بحجارة مبانيها الصفراء وأهلّتها؛ لتكون سادسَ موقعٍ أردنيٍّ ينضمّ إلى قائمة التراث العالميّ (اليونسكو)؛ باعتبارها نموذجاً حيّاً للتسامح وأصول الضيافة الحضريّة في الأردن.

خير شاهد على قيمة «الأسرة»، وأكثر من ذلك تعكس عقوداً من الزمان، حيث كان الأجداد يعيشون ببساطةٍ تتلاءم مع ظروفهم التي تحيط بهم، خير شهود كنّا ولا نزال على «حياة الأولين»، التي اعتمدت على ما كسبت اليد من زرع وخشب، أعطت الإنسان موادَّ أوليّةً نتاجَ تعامله مع بيئته وارتباطه بها.

تمتاز السلطُ ببيوت الطين والحجارة، التي لها في قلوب الناس عشق ومحبّة، وما يجذب الانتباه في بيوت السلط الأبواب العالية المتينة التي تمتاز بجمال تصميمها وقوتها، و«زرافيلها» صعبة الكسر، كما هو شموخ أهل هذه الأرض.

في السلط أيضاً مناطقُ أثريّةٌ وتاريخيّةٌ، تعود لحقباتٍ زمنيّةٍ مختلفةٍ، منها مقام النبيّ يوشع بن نون، والخضر، وشلالات الرميمين، والقلعة، والجدعة، وحيّ السلط القديم، وقصر أبو جابر، وحاليّاً تقوم فرقة (يا بنية) بترميم أبنية في السلط، مع الحفاظ على طابعها المعماريّ المميّز والعبق بروح الأصالة والتراث.

المكانُ والزمانُ بدون إنسان مجرّد ذاكرةٍ مختزلةٍ، إلّا أنَّ أبناء السلط بعطائهم وعزمهم رسخوا في ذاكرة الوطن، وهم من أوائل من خدموا وقدّموا ذاكرة مكتظّة بالعطاء. واجتماعيّاً ما زال أبناء السلط معاً في الأفراح والأتراح يرسمون صورة جميلة في التعاضد والتكاتف، وفي أيام الجمع تحديداً، تكثر حفلات الأعراس والاحتفالات، وترى ابن السلط يفرح بمرور موكب العرس من أمام بيته، ويشاطر أصحاب الفرح سعادتهم، ومن اللافت أيام الجمع، وعلى طريق عمان السلط تحديداً، مرافقة موكب العروسين وتوديعهما على باب المدينة من قبل الأهل والأصحاب.

عادات جميلة ما زالت السلط وأهلها يحتفظون بها ويطبّقونها في عادات وتقاليد تسعى إلى الوحدة والتماسك، وأكثر من ذلك تثبيت هُويّة الوطن وحبّه، السلط ما يزال فيها بعض هذا التراث الأصيل، الذي سوف تُسأَلُ عنه الأجيال اليوم وغداً، إنَّ السلط في قلب كلّ أردنيّ، ولها حيّز في وجدان أهل هذا الوطن.

تتميّز المدينة بطبيعتها الجبليّة، وتراصّ بيوتها فوق بعضها بعضاً، وربما هذا أسهم في القرب بين الناس، فأهل السلط متراصّون متكاتفون، والتكافل الاجتماعيّ بين الأسر في المدينة وزوّارها ميزة وواقع، ولا توجد في المدينة أحياء منفصلة على أساس دينيّ، ما يدعم ثقافة التسامح والوئام بين الأديان، ولذلك فازت السلط كقيمة استثنائيّة عالميّة في كيفية احترام الآخر وقبوله.

التسامح القيمة الإنسانيّة الأجمل في السلط، قديم قدم الإنسانيّة، ففيها العديد من بيوت الله ومقامات الأنبياء والصحابة، منها مقام النبي يوشع بن نون، والخضر، والقلعة التاريخيّة، والجدعة، وحيّ السلط القديم، وسوق السكافية، لذا يُحسب أيضاً لأبناء السلط السعي الجادّ لإبراز جزء من تراثها المادّيّ، وخصوصاً الملابس التراثيّة والحرف اليدويّة القديمة، من أغطية الرأس، وأطباق القشّ، والخزف، والزجاج المُعشّق، وأيضاً المساهمة في ترميم البيوت والآثار ضمن مبادرات فرديّة وجماعيّة.

ابنة الأغوار.. مسارح الدحنون

رانيا الدوجان

في طريقك إلى الأغوار، اعلَمْ أنَّكَ ستزور منطقةً خضراءَ منخفضةً، وتتنقل نزولاً عبر سلسلة جبال نحو منطقة سهليّة، يمرّ فيها نهرٌ، فيقابلك التاريخ العتيق، والجغرافيا الفريدة، تلك الجغرافيا التي صنعت ألف حكايةٍ وقصّةٍ تقرأها إذا تجوّلتَ في المكان، ستمتلئ بالدهشة، وتستوي في شروط اليقين، اليقين في حالةِ وجدٍ كاملةٍ تجاه الأماكن التي تترك أثراً في القلب.

سرّ الأغوار هو في النهر الذي يمرّ فيها، نهر الأردن، النهر الذي جعلها خضراءَ نديّةً خصبةً، تُنتج بدون حسابات، وتعطي بدون منّة، الأغوار أشبه بحضارةٍ التفّت حول النهر، حال الحضارات التي تقام حول الأنهار منذ ألف عام وعام.

والمنطقة حارة صيفاً، حارة جدّاً؛ بسبب الانخفاض عن مستوى سطح البحر، شمس أيقظت النبت، ولوّحت الجباه السُّمر، وأمدّت الأرض بالحياة، شمس رغم حرارتها لم تقسُ يوماً على الورد والرياحين، ثم إنَّ المنطقة معتدلة شتاءً، وسياحيّة وجاذبة.

مئات الدرجات من اللون الأخضر تريح العين والقلب، وربيعها خليط من الدحنون والمرّار، ربيع لا يشبهه أيُّ ربيع. أنا ابنة المكان، أحمل همّه، وأتجوّل فيه بعين الحبّ الحارسة ومنطق الشجن والحنين.

للأغوار أيضاً شيءٌ يخصّها، فيها أضرحة الصحابة منذ قرون شاهدة على تاريخ وقداسة، ومعارك عِزّ وشموخ، فيها ضريح أبي عبيدة عامر بن الجراح، الذي أصبح مزاراً، والمنطقة حوله تحوّلت إلى منطقة سياحيّة، وفيها ضريح ضرار بن الأزور، الذي سمّيت المنطقة هناك باسمه، وضريح الصحابيّ معاذ بن جبل، وفيها تلّ (دير علا) الذي يخضرّ ويصفرّ حسب الفصول، ويورق كلّما مرّ به طيف شتاء أو ندى ربيع.

سَيُلاحظ المُتفحِّصُ أنَّ الأغوار جغرافيّاً أشبه بشريط حدوديّ طويل يقع بين جبلين، جبل شرقيّ شاهق، وجبل يُطلّ على الغرب حيث جبال فلسطين، حيث الشجن والحنين، في وثائقها تاريخ الكرامة، المعركة التي تصدّى فيها أبناء المنطقة للعدو على خطّ النار، حيث ذكرى معركة الكرامة حين نُصِبَ الجندي المجهول رمزاً للجندي الشهيد، الذي تعلم السماءُ عن اسمه وعن حبّه للأرض، جنديٌّ حامٍ للديار، كان ملتصقاً بها مدافعاً عنها.

الأغوار بلاد عرار، تاريخ الشعر والشجن والإلهام، محيط المرهفين والشعراء، امتداد للألق والبساتين، لقد سكن عرار وادي الريّان، وتغنّى بالمكان وببلادٍ تنتج الورد بدون حسابات. في المنطقة أيضاً نهر الأردن الذي حوّل المكان إلى أرض خصبة تُنتج المحصول والفاكهة، والمنطقة – بالمناسبة – تحقّق الأمن الغذائيّ للأردن كاملةً وللدول القريبة، لذلك تأخذ أهميّةً من نوع مختلف وفريد، إنَّها جنّةٌ تنتج لبناً وعسلاً ودحنوناً وأقحواناً، أمّا إنسان الأغوار، فهو ابن الأرض الطيّبة، أثّرت فيه الطبيعة والأرض المعطاءة، حيث الكرمُ لديه عقيدة، والنخوة طريقة، والموقف أولوية، وقد يترك المحصول بدون حراسة للمارّين وعابري السبيل، إنسان (دير علا) مرتبط بالأرض التي تنتج كلّ المحاصيل، رفيق الشمس، والشمس التي لوّحت وجوههم زادتهم عِزّةً وكرامةً.

يخطر ببالي أن أذكر بعض الشخصيات الشاهدة على تاريخ المنطقة، دكتور حسين مناور مؤلّف كتاب (عمتا)، وعمتا هي إشارة لإحدى قرى المنطقة، وهي قرية البلاونة التي يقع فيها تلّ أثريّ رومانيّ، ذكر في روايته التحوّل الذي جرى على المنطقة خلال ثلاثة أجيال، وكيف انتقلت المنطقة عبر حقب تاريخيّة إلى واقع جديد، هو واقعها اليوم، خلال ستين عاماً انتقلت الأغوار من ملامح البداوة بكلّ صفاتها إلى المدنيّة بكلّ صورها، وقد استعرض الكاتب حسين مناور في كتابه كلّ ملامح المنطقة، من تاريخها، وإنسانها، وجغرافيّتها، وخصوصيّتها.

ومن الشخصيّات التي تأثّرتُ بها شخصيّة الشيخ محمود دوجان البلاونة، أحد الشخصيّات التي تحمل بصمةً وحكايةً، لديه شغف بالحياة، معنيٌّ بها، مُنتمٍ لها، يحمل صفات المنطق والشجاعة، وكلمة الحقّ هي كلمته الحازمة والآسرة، يتّصف – أطال الله في عمره – بنقاء السريرة، ويملك حضوراً طيّباً في منطقته. وأذكر أيضاً معلمتي الكاتبة فوزية الشهاب، تكتبُ أرقّ الكلمات التي لا تنفصل عن كينونتها كأنثى وابنة مكان، تحمل كلّ الأفكار الشجيّة والهموم المتّفق عليها، وهي الهموم الوطنيّة والإنسانيّة.

الأغوار بلدي الذي أحببتُ، حيث إنّني كتبتُ عن المكان الذي لا أنفصل عنه وتأثّرت به، فهو مسقط رأسي وبيت أمّي وحقل أبي، لديَّ شجنٌ خاصٌّ تجاه الحقول والبيّارات، واخضرار الأرض والدحنون الذي يتناثر في كلّ مكان، لديَّ قصة مع النهر الذي حوّل المنطقة إلى منطقة خضراء، النهر الذي غنّت عنه فيروز، الذي سيمحو آثارَ الهمجيّة، أمّا الشمس، فهي حارقة صيفاً، ورغم ذلك نوقظها بكلّ حبّ، وتوقظنا لننطلق كلّ صباح إلى الحياة.

أذكر أنّني كتبتُ عن بلدتي ومعلّماتي وذكرياتي في كتابي الأخير (جعلتك تقرأ وجعلتني أكتب)، حديث عن معلّماتي ومدرستي، ونشأتي وبداياتي مع القلم والدفتر والكلمة والدفقة، وطريق المدرسة، وبيت جدّتي هناك على اليسار باتجاه القلب على ضفة الشرايين، صوت الديك صباحاً، وسيارة الآيس كريم وموسيقاها التي كانت تأتي كبِشارة فرح، صوت الفلاحات العاملات في الأرض، كرم الأرض ووفرة الإنتاج حتى لو احتار المزارع في تسويقها أحياناً.

الأغوار.. قالوا عنها نائية في آخر الدنيا، لكنّها عندي أوّل الدنيا، هي الملهمة والمنتجة، والخضراء والطيّبة، هي أوّل دقة قلب، أوّل كلمة قالتها المعلمة، أجمل إيماءة حبّ منحها لي أبي.. حاضنة أوّل دفقة، وأول زهرة غرستها أمّي، أول شجرة زيتون في محيط البيت.. هي آخر كلماتٍ قالها أبي يوصينا على الوطن، هي البداية.. التراب الذي تحنّ له الأزهار لتحيا لا لتموت، في الأغوار لا تحدّثني عن وجود أشواك، فأنا رأيت الورود فقط.

لوحة الفنان أحمد الحشوش/ الأردن

دكتور نائل العدوان / الأردن

ملتقى الأجيال

دكتور نائل العدوان

أسماء العمري

حِوارٌ بينَ جيلين
دكتور نائل العدوان وأسماء العمري

حاورته أسماء العمري

حِوارٌ بينَ جيلين

دكتور نائل العدوان وأسماء العمري

في هذا الحوار نستكشفُ أفقاً جديداً لأديبٍ وكاتبٍ أصدر مؤلّفاتٍ متنوّعةً عديدةً من القصّة والرواية والشعر، مع كاتبةٍ تتلو أولى خطواتها على الأرض، وتتلمّسُ الدرب نحو عالم الأدب، حيث يلتقي الجيلان بين تساؤلات المُستجدّ وإجابات الخبير؛ لتُخلَقَ تكامليّةٌ تشرح تسلسل الزمن وأثره على الإبداع وتطوّراته.

الدكتور نائل العدوان، كاتبٌ وقاصٌّ أردنيٌّ وُلِدَ في العاصمة الأردنيّة عمّان في 31 كانون الثاني من عام 1974، وقد حصل على شهادة الدكتوراة في الاقتصاد عام 2013، بدأ مسيرته الأدبيّة في عام 1994، يكتب القصة القصيرة والرواية والمقال الساخر، ينشر في العديد من الصحف المحلّيّة والعربيّة، عمل لعدة سنوات في معهد الدراسات المصرفيّة/ البنك المركزيّ الأردنيّ، مسؤولاً للدراسات العليا حتى عام 2005.

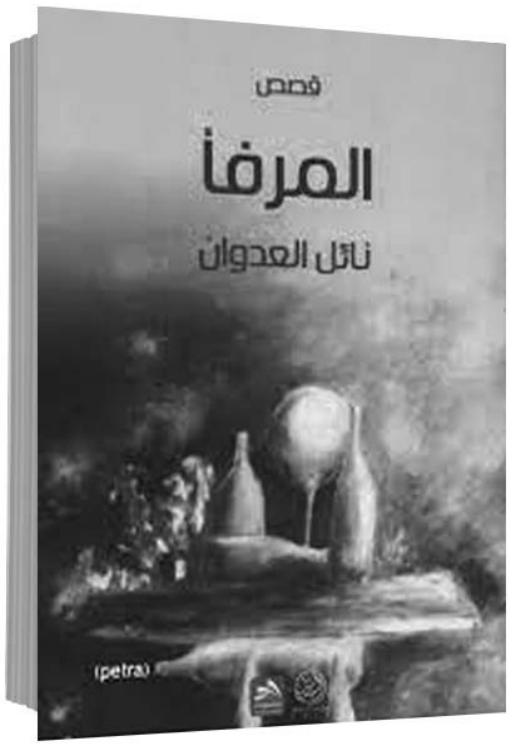

ثم انتقل عمله إلى كندا/ هاملتون، وعمل فيها لغاية عام 2008 في عدة وظائف خاصة، وفي عام 2009، عمل مديراً للدائرة الاقتصاديّة في هيئة تنظيم قطاع الاتصالات، ثم انتقل وعمل مديراً لدائرة السياسات والإستراتيجيّات في وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات عام 2014.

يعمل مؤخّراً ومنذ عام 2021 في هيئة تنظيم قطاع الاتصالات نائباً لرئيس مجلس المفوّضيّة والأمين العام ولغاية الآن. عضو في رابطة الكُتّاب الأردنيّين، واتّحاد الكُتّاب العرب، وملتقى الفنّانين التشكيليّين الكنديّين، وبيت الأنباط في الأردن، وهو أيضاً عضو مؤسّس في جمعيّة التراث والفنّ بالأردن، وجمعية البلقاء للفنّ التشكيليّ.

تُحاوره أسماء العمري، كاتبة أردنيّة مُستجدّة، درست نظم المعلومات الإداريّة، وتعمل كفنيّة للحاسوب في جامعة اليرموك شمال الأردن، نشرت العديد من المقالات والقصص في مجّلات متنوّعة، لا سيّما مجلّة (صوت الجيل) التابعة لوزارة الثقافة، وهي بصدد نشر إصدارها الأول إن شاء الله.

*** أول ما لفتني في شخصية نائل العدوان هو أنّه الشاعرُ والروائيُّ والقاصّ والرسّام والدكتور في علم الاقتصاد، احكِ لنا عن هذه الشموليّة وروعتها عندما تجتمع في شخصٍ واحد، وهل جميعنا نستطيع إيقاظ هذا الكمّ من الجمال في دواخلنا؟ أم أنّ الأمور ليست بتلك البساطة؟**

– نعم جميع الأشكال الإبداعيّة موجودة عند كلّ شخص، ولكن علينا بالضرورة صقلها، ويتطلّب ذلك قدرًا من الذكاء والتعب والمثابرة، الإبداع بتنوّعه يصبّ في الجمال لا محالة، فالكتابة والرسم والموسيقى، وحتى العلوم الاقتصاديّة التي درستُها، هي توافقيّات تربطها ببعضها بعضاً علاقة وثيقة، مثل علاقتنا مع الطبيعة الشاسعة المتمازجة.

*** دائمًا يتولّد لديَّ سؤالٌ كلّما قابلتُ كاتبًا بمسيرة حافلة، وهو: «ما هي الكتابة بالنسبة له؟ ماذا تعطينا الكتابة لنشرع فيها؟ وهل هي حقًّا تُرجمان حالتنا النفسيّة المتبدّلة والمتطوّرة والخاضعة للخبرويّة؟ أم أنّها مرآة ما نتوقّع حدوثه في ما نراه ويمرُّ بنا أو أمامنا؟**

– طبعاً الكتابةُ بالنسبة لأيّ كاتب هي تعبير عن الداخل، سواء في الشعر، أو في القصة، أو في الرواية، أو في المسرح، وهذا التعبير يأخذ عدّة منحنيات، باعتقادي أنَّ الإنسان يولد بحالة شاعريّة بالفطرة، حيث إنَّ الشعر ظهر عند العرب كأول لونٍ من الآداب، وكانوا يقولونه بفصاحة عالية دون أن يتعلّموه أو ينقله لهم أحدٌ، بقيّة الأجناس الأدبيّة في حاجة للمتابعة والاستطلاع للشروع فيها.

*** في مجموعتك القصصيّة (المرفأ) في عام 2013، وبعد أن كنتَ تنشر نتاجَكَ الأدبيَّ في الصحف والمجلات العربيّة لزمنٍ قارب عشرين عاماً، ماذا حقّقت لك (المرفأ) من امتيازاتٍ محسوسةٍ وملموسةٍ؟ وهل خطوتنا الأولى (كتابنا الأول) في طريق الأدب لها طعم مختلف عن خطواتنا التالية فيه؟ أم أنَّ لكلّ خطوةٍ طعمها اللذيذ المتجدّد عبر الزمن؟**

– المرفأ هي مجموعتي القصصية الوحيدة إلى الآن، كتبتُها في أوائل التسعينيّات، وبعد أن أجزتُها من المكتبة الوطنيّة، قرّرتُ عدم نشرها لسببٍ لا أذكره، ثم في عام 2013، قرّرتُ نشرها، وكانت بذلك مؤلّفي الورقيّ الأول، نعم لقد حملَتْ لي طعماً خاصاً، وتركَتْ أثراً لا يُنسى لديّ.

*** دعنا نعود لروايتك الأولى (مذكرات من تحت بيت الدرج) 2014، في الحقيقة إنَّها رواية مؤلمة ومدهشة في آنٍ معًا، فقد خلقت بطلًا للرواية يمرُّ بأطوارٍ حياتيّةٍ مختلفة، تُزعزِعُ شخصيّتَه وتفصمها، ولكن أكثر ما أمسك بقلبي هو جزئيّة فقدان «أحمد» لوالدته واضطراره لمواجهة هذا العالم المخيف وحده، واندلاق مخاوفه وتساؤلاته، ونشوء رؤيته الفلسفيّة للأشياء وحتى للخالق، وبحثه عن إجابات شافية دون أن يحقّق أيّة جدوى، كيف استطعتَ أن تكون طفلًا – بكلّ ما فيك – في مصداقيّة التعبير، عندما قدّمت لنا تلك السرديّة الفريدة؟**

– قصة هذه الرواية غريبة عجيبة، فقد قابلتُ صدفةً أحد المُشرّدين، وكان يبدو عليه أنّه يعاني من مشكلة نفسيّة، ويمسك دفتراً بيده، فأوقفني ليُحادثني، سألته: ماذا تكتب؟ فقال: مذكّراتي. وعندما طلبتُ منه أن يسمحَ لي بقراءة بعضها، ناولني الدفتر، وكان فارغاً تمامًا، ولكنّني كنت أمثّل أنّني أقرأ باهتمام، وأخبرته أنَّ ما كتبه جميلٌ جدًا.

بعدها استدللتُ على بيته، وبدأتُ في كتابة هذه الرواية، قصة الصحفيّ السياسيّ أحمد، الذي عانا من ضغط نفسي كبير، وقرّر أن يُسلّم عقله للجنون، ويعيش بشخصيّة أخرى اسمها «سحنون». وتدور الرواية على لسان الشخصيتين أحمد وسحنون، كيف استطعتُ أن أكونَ ذلك الطفل، ربما سأقول إنَّ الطفولة تشبه الجنون، ففيهما نفس البياض والاندفاع، وعدم تدبّر العواقب، والحديث بحريّة بدون قيود، وغيرها من العوامل المشتركة، تتحدّث الرواية باختصار عن ثنائيّة العقل والجنون.

*** انتقلتَ في العام الذي يليه للشعر برشاقة واضحة، في ديوان (نكاية بالشعراء)، هل كان الشعرُ بالنسبة لك عنقودَ عنبٍ نضج من دالية الرواية؟ أم أنَّ لغتك الشاعريّة هي التي كان لها الفضل في تقديم عملك الروائيّ في الأساس؟ وأين تجد نفسك أكثر بين أنواع الأدب التي قدّمتها؟**

– ديوان (نكاية بالشعراء) عبارة عن قصائد قصيرة فيها نوع من السخرية لقوالب الشعر الحديث، فكانت «نكايةً بالشعراء»، وقرّرتُ نشره، ظهرت مواضيع القصائد متعدّدة وعاكسة لما يشعر به الإنسان، كالغضب والحبّ والحزن، لا أحبّ التكرار، أحبّ التفرّد بالأفكار، حتى وإن انقطعتُ عن الكتابة لفترة طويلة، فإنّني لا أكتب إلّا إذا خطرَتْ لي فكرةٌ تدفعني بقوّة للكتابة.

أجدُ نفسي في أيّ لونٍ أدبيّ أقدّمه بطريقة ساخرة، وأحبُّ جدًا أعمالي التي قدّمتها بهذه الجزئيّة، والتي تندرج تحت «الأدب الساخر».

*** في عام 2016 صدرت رواية (غواية لا تودُّ الحديثَ عنها) بفكرةٍ مذهلة، ربما نشعرُ بها جميعًا، ولكنّنا لم نستطع التعبيرَ عنها، فكثيرًا ما نسمعُ أنَّ أحدهم قال إنَّه ليس من هذا الزمن، أو إنَّه كذا وكذا في زمنٍ آخر، كم احتاجت منك هذه الرواية جهدًا واطّلاعًا في العلوم النفسيّة لسبر غور روحٍ حطّت رحالها في جسدين مختلفين لزمنين بعيدين، وكيف يؤثّر الجسد على الروح في تناءٍ خلقَ ذلك الاختلاف في مصير الشخصيتين؟**

– دارَتْ أحداثُ هذه الرواية في زمنين مختلفين، الأول كان يعيش فيه شابّ مصريّ حاول الهروب من مصر بعد الربيع العربيّ، ثم يكتشف أنّه يحمل سمات معيّنة عاشت في زمن آخر، وهنا تظهر الشخصيّة الثانية التي تحمل تلك السمات، ولكن في وقت ثانٍ، وهي رواية تشرحُ التقمّص بشكلٍ مباشر، حاولتُ تفسير هذه الظاهرة برؤيتي الخاصة، حيث إنَّها حالةٌ تَرِدُ على لسان الكثيرين بدون تفسير، وقد استخدمتُ الشخوصَ والأحداثَ لبيان تداعياتها بوجهة نظري الشخصيّة.

*** مؤخرًا رأينا كتاب (الطاسوس) في دار فضاءات للنشر والتوزيع، وقد أخذ مُنحنىً من التأمّلات في أحوال الأردن، عن طريق الحدوتة التي تصل لأكبر عدد من القرّاء بسلاسة وعفويّة بديعة، ما أهميّة أن يقرأ الجميع لنائل العدوان؟ وهل تحرص على الوصول لكلّ شرائح مجتمعنا الغنيّة من خلال تقديم هذا التنوّع؟ وهل هذا جزءٌ من رؤيتك؟**

– الأحداث والمقالات دارت جميعها في الأردن، والعلاقة بين كلّ القصص الواردة وثيقة جدًا، نعم أهتمّ بأن يقرأ لي الجميع، وهذا جزءٌ من رؤيتي؛ لأنّني أثق بالجميع، وأحبّ البساطة التي تصل بكلّ سهولة للقارئ.

*** ما هي حدود تعاطي الدكتور نائل مع الجيل الذي قبله في الرواية العربية ولا سيما الأردنية؟ وهل كان لها أثرٌ في تشكيل هُويّته الإبداعيّة؟**

– نعم بكلّ تأكيد، فقد قرأت الكثيرَ، للأستاذ تيسير سبول، والأستاذ زياد القاسم الذي كان لي شرف التعرّف عليه في منتصف التسعينيّات، والأستاذ غالب هلسة، ولا أنسى الأديب والروائي قاسم توفيق الذي تربطني به علاقة صداقة رغم فرق السّنّ بيننا، والروائي مفلح العدوان الذي كان داعمًا لمسيرتي الإبداعيّة.

*** لقد استكشفتُ الكتابة بداخلي منذ زمنٍ بعيد، كلّما اعترتني الدهشةُ لحدثٍ ما، أحسستُ أنَّ هناك جانبًا مخبوءًا يجب أن أدوّنه لم ينتبه إليه أحد، أو عندما كانت تلفتني قصص الحُبّ التقليديّة، كنتُ أتخيّل أنَّ حدثًا يجب أن يُغيّر مسار القصّة، كأن تُغرم فتاةٌ عاديّةٌ بشخصٍ تراه على الساحل، ثم تُفاجأ في ما بعد أنَّهُ رجلٌ برمائيٌّ في حالةٍ فريدةٍ ونادرةٍ مثلًا، وتمضي القصة في إثبات شكوكها، برأيك هل كلّ ما يُخيّل إلينا صالحٌ للكتابة؟ أم أنَّ النمطيّة وتأطير الفكرة وتشذيبها ربما تكون أقرب للقرّاء وأسهل من كسر القوالب التي اعتدنا عليها؟**

– بلا شك مهما استخدمنا الخيال، وكتبنا عن كلّ ما يخطر لنا من غرابة، فإنّنا سَنُسقِطُ عليه شخصيّتنا وهُويّتنا، ونستطيع تأطير الفكرة بما نراه مناسبًا لسياق النصّ، فأنا أستطيع أن ألمسَ شخصيّة الراوي من خلال رواياته، هل هو طيّب أم غير طيّب، بطيء مثلاً أم نشيط ومتجدّد، شخصيّة الراوي ستخرج وسنستطيع قراءتها لا محالة، وهذا رأيي.

*** أكتبُ حاليًا النصّ الأدبيّ والقصة القصيرة والمقالات، كيف يمكن للكاتب الصاعد توظيف مهاراته لتطوير فنون الأدب، كالانتقال من القصة إلى الرواية؟**

– أنا لستُ مع فكرة أنَّ الرواية تتطوّر من القصة مثلًا، أو أنَّ قصيدةً يمكن أن تتحوّل فكرتها لرواية، أنا مع أن يبدع الكاتب بما يبرع فيه، دون أن يسيطر عليه هاجس الانتقال لفنٍّ أدبيٍّ آخر، وفي وجود الذكاء الاصطناعيّ ربما يتغيّر منحنى ركوب موجة الرواية مثلًا، فسهولة الوصول إلى أنواع الأدب من خلال الفيديوهات المصوّرة والأفلام، ربما تُغيّر الدفة لاتجاه آخر لا نعرفه في المستقبل، فالناس اتّجهوا مؤخرًا للمشاهدة عوضًا عن القراءة، ومَنْ يدري؟ ربما سيكتب لنا الذكاء الاصطناعيّ القصة والرواية، وربما سيكون له أثرٌ يقيّد الكُتّابَ وحتى الرسّامين والموسيقيّين، ويتدخّل لتأطيرهم.

*** أنا وغيري الكثير ممّن وجدوا لأقلامهم مكانًا ليقدّموا أنفسهم بالكتابة، ماذا تقول لنا بعد خبرتك الطويلة الناجزة والزاخرة؟ وما هي النصيحة التي ستقدّمها لنا؟**

– لم أرَ في نفسي بعدُ أنّني أستطيع نُصحَ الأجيال الصغيرة في القضايا الأدبيّة، في النهاية أنا أرى أنَّ الكتابةَ هي طارئٌ يحدث للإنسان ويدفعه للتدوين، وكذلك باقي الأجناس الفنيّة كالرسم والموسيقى وغيرها، ولكنَّ الشيء الوحيد الذي سأنصح به، المواظبة على القراءة منذ سنّ صغيرة.

لوحة الفنان أحمد إلياس/ سورية

- رحى الأحلام ..... رولا العمري
- مشاعِرُك مِدادٌ لريشتك ..... صقر الحمايدة
- أخي الذي يُصلِحُ ما يُشتّته الرّحيل ..... بشرى علي
- أمطارُ فبرِواري ..... عمرو شرف
- توقيعات ..... حلا باسم القبيلات
- أشدُّ وَقْعًا ..... معتصم النداف
- عيني أنا بعينها ..... سالم المحادين
- نشيجُ الياسمين ..... خلود الإبراهيم
- يوم الاعتراف بالهزيمة ..... حنين إبداح
- ابنتي وأعرِفُها ..... هدى الأحمد

لوحة الفنانمحمد موسى/ الأردن

رحى الأحلام

رولا العمري

أخفَتْ تجاعيدَها وغمسَتْ جسدَها بين السنابل الغضّة، لم تدرك أنَّ الشمس أكلت عمرها، تذكّرَتْ نفسَها حين تناحرت مع أخواتها ونساء القرية على تلال القمح، ورغم كلّ أوجاع الجوع، كانوا يتدثّرون بما حوَتْ أيديهن من رائحة الخبز، كلُّ علامات الشمس التي تركتها فوق جبينها، جعلَتْ منها امرأةً تتخطّى الأصعب لتصفوَ حياتُها.

ممّا جعل شباب القرية يتصارعون على أحقيّة الزواج بها، ولكنَّها كانت تتطلّع للشابّ (ياسر) الذي أسرَ قلبها على أنّه بَرُّ الأمان الذي سينتشلها من ضنك العيش وقساوة الحصول على الرزق، وظيفة في بلد خليجيّ، سيارة فارهة آنذاك، وابتسامة تجعلها تنسى قهر الطريق الذي تسير فيه مرورًا ببيته، ووصولًا لحقل القمح، حيث العملُ، والعملُ فقط هو كلّ ما يجب أن تفعله.

ترتجفُ (حسنة) في كلّ مرة تمرّ بها من أمام بيته، تراه وكأنّها تراقب نافذة نحو عالم آخر، تحصد عدد المرّات التي يرتشف فيها قهوته، سجائره التي لا ينتهي دخانها، ابتسامة لطيفة على محيّاه، يرميها على وجه حسنة التي ما إن تلمحه، حتى يتصاعدَ الدّمُ كالبركان فوق وجنتيها، تُخبِّئ وجهها بين أكياس الخيش التي تحملها، وتمشي بخطوات متلاحقة، تتسارع كما النبض الذي تسارع حين شعرَتْ بلهفتها لرؤيته.

مرّةً تلو المرّةِ كانت تذهب وتعود من نفس الطريق، وكلّ مرة كانت ترسمُ حُلماً لا يشبه واقعها، شهر كامل وهي تذهب إلى البستان، لكن لم تشعر من قبلُ أنَّ الطريقَ خريطةٌ مرسومةٌ بعنايةٍ لتبقى شاهدةً على تفاصيل هذا الحبّ الذي سلب عقلها وقلبها، حتى إنَّها ذات مرة دلقَتِ الماءَ من القنينة عمداً في الحقل، وادّعتِ العطشَ الشديدَ؛ لتسمح لها أمّها وأخواتها بالعودة لإحضار الماء مرّةً أخرى.

كان العطشُ حُجّةً، وهو الماء الذي روى ظمأ قلبها وعينيها، وحين اقتربت من بيته أبطأت الخُطى لتحظى بأكبرِ وقتٍ ممكنٍ لتراه ويلحظها؛ لترتويَ من محيّاه، ويلتفت ولو بنظرةٍ ليُحييها، أو ربما يكتفي بالابتسامة كتعبير عن الإعجاب، أو ربما لأنّها اخترقت مجال رؤيته وأصبحت أمامه بكامل لهفتها، يراقب المشهد دون أن يغيّر من تصرّفه، إلّا أنّه آخرَ مرةٍ ابتسم ابتسامة مطوّلة، كاد قلبها أن يتوقّف، أشاحت بنظرها ومضت مُسرِعةً.

على الشرفة كالمعتاد، خيطُ دخانه يتصاعد كلّ صباح، قهوته وصحيفته، وعينان غير مباليتين بكلّ ما يدور حوله، يجلس على كرسيّه من الصباح إلى المساء، يدخل لوقت غير معلوم، ثم يعود ليتابعَ مشهدًا للطبيعة أغراه منذ وصوله لقضاء الإجازة.

في صباح جديدٍ يكرّرُ نفسَه، تصل حسنة لمشارف بيته في طريقها للبستان، ولكن لا ترى (ياسرًا) كالعادة يجلس على كرسيّه في الشرفة، تُمعن النظر وتتوقّف للحظةٍ، وتتوقّف معها بقية بنات القرية، يستغربن أيضًا غيابه، تخرج أمّه من البيت وتلقي تحية الصباح عليهن، وتدعوهن لشرب الشاي معها، نظرَتْ كلُّ واحدةٍ إلى الأخرى بتجهّمٍ واستغراب، تجرّأَتْ حسنة ووافقت، تَبِعَتْها بقية الفتيات، دخلن إلى بيت جارتهنّ أمّ ياسر، ولم يُصدِّقن ما رأينَهُ.

أكثر من حوالي ست أو سبع لوحات مرسومة بعناية، لكلّ فتاةٍ كانت تمرّ من أمامه، ومن بينهن لوحة بوجه حسنة وهي تحمل أكياس الخيش على ظهرها، بوجهٍ لفحَتْهُ الشمس، وملابس نصف مرتّبة، وظهر مُنحنٍ، جميعهن كُنَّ مشهدًا ومسرحًا لخياله.

ضحكت أمّ ياسر والسعادةُ ترفل وجهَها، وقالت: «انظرن.. كم هو فنان! لقد فازت لوحاته في المعرض المُقام في العاصمة، ذهب اليوم ليستلمَ جائزته، فقد تفوّق على فنانة أخرى مشهود لها بالإبداع، وسنذهب في الأسبوع القادم لخطبتها».

اصفرّت وجوههن، وتلعثمْنَ بكلماتٍ لم يستطعن نطقها، إلّا (مبروك) بكلّ برود.. تركن أكواب الشاي نصف ممتلئة، وراحت كلُّ واحدةٍ منهن تمسح من خيالها تلك الشرفة وتلك اللهفة التي ما عادت تُشعل أنفاسهن؛ ليُكملْنَ بقيّة الطريق.

مشاعِرُك مِدادٌ لريشتك

صقر الحمايدة

مِن الكتَّابِ مَن يكتب بريشته فقط، ومنهم مَن يكتب بريشته وقلبه معًا، فالكاتبُ الذي يستخدم ريشته فقط كاتبٌ يكتبُ لمجرَّدِ الكتابة، أمّا الذي يستخدم قلبَهُ وريشتَهُ في الكتابة، فيجعلُ كلماته التي يسكبها على الورقة الصمّاء تُشعِرُ مَن يقرؤُها بأحاسيسِهِ، فبمُجرَّد أن يقرأ قارئٌ ما كتب، سيشعر بذلك الإحساس الذي أحسَّهُ الكاتب عندما كتب ما كتب.

ما علاقةُ القلب بالكتابة؟ هل القلبُ محبرةٌ لتلك الريشة التي يُكتَبُ بها مثلًا؟ نعم إنَّ القلب كالمحبرة تمامًا، فالمحبرةُ مخزونُ الحبر الذي يلزم لإظهار حروف الكاتب وكلماته؛ أي نصّه الأدبيّ، والقلب مخزون المشاعر الجيّاشة التي تلزم لإيصال فكرة الكاتب والتأثير على القارئ، والإبحار به في بحر إحساس الكاتب، فمشاعرُك الصادقة التي تنبع من قلبك مِدادٌ لريشتك.

وكما أنَّ الرسم بالريشة فنّ، فالكتابة بتلك الريشةِ ذاتِها فنٌّ أيضًا، فذلك الرسّام الذي يرسم الأطفال المُهجّرين، لا يرسمهم لمجرّد الرسم، بل لأنَّهُ أحسَّ بإحساسهم، وهيمنت عليه حالةٌ من الحزن على حالهم، فعندما تشاهد أيُّها المشاهد تلك اللوحة التي رسمها، ستحزن كثيرًا، وسيخفق قلبك بقوة، ثم ستطوف بخيالك في مخيّماتهم، وربما ستشعر بالبرد القارص الذي يقشعرُّ منه بدنك.

كلُّ هذا سيحصل في لحظاتٍ وأنتَ ما زلتَ تقف أمام تلك اللوحة الصغيرة التي جعلت مشاعرك تضطرب غير مرّة، فلو أنَّ رسّامها لم يرسمها بإحساس، أي لم يستخدم قلبه وريشته معًا، لما خفق قلبك واضطربت مشاعرك.

على سبيل المثال، لو أنّني كلّفتك بكتابة قصّةٍ عن رجلٍ فقد ابنَهُ نتيجةَ هزّةٍ أرضيّةٍ زعزعت مدينته التي يقطنها، فستجري مُسرعًا لتبحث عن قلمك – أو ريشتك – وتبدأ في الكتابة، لا أريدُ منك ذلك، بل ما أريدُهُ منكَ هو أن تكتب بقلبك لا بقلمك، وفكِّرْ قليلًا بل كثيرًا أحيانًا، ثم افتح باب مخيّلتك بقوة، واجرِ مسرعًا إلى تلك المدينة، وكُنْ ذلك الرجل، عِشْ شعورَهُ عندما

تبدأ الهزّة، تلهّفْ لخروج ابنك من تحت الأنقاض، واسكبْ دموعَكَ على خدّيك عندما تتلقّى خبر وفاته، ولا تنسَ أيُّها الكاتب أنّني أريد أثناء قراءتي تلك القصة أن أبكيَ رغمًا عنّي؛ لأنَّ إحساسك سيصل إلى قلبي ويؤثّر على شعوري، ممّا يجعل أدمعي تجري على خدّي بلا حولٍ منّي ولا قوة.

الكتابةُ بالقلبِ لا تعني تهميش العقل، فلا تُغلّب قلبك على عقلك، فعقلك لا يقلُّ أهميةً عن قلبك، وكما أنَّ القلبَ منبعٌ للإحساس، فالعقل منبع للأفكار، فكلاهما صِنوان لا يفترقان، فالعقلُ يمنحك تلك الفكرة المختلفة التي لم يسبق لأحدٍ من قبلك أن جاءَ بها، وقلبك يُظهر ملامح تلك الفكرة، ويمضي بها نحو قلب القارئ، فيشعر ذلك القارئ بفكرتِكَ ويتأثّرُ بها.

يُخطئ أولئك الكُتّاب الذين يعتقدون أنَّ فنَّ الكتابةِ وراثيٌّ يولد مع الكاتب، بل هو فنٌّ مُكتسَبٌ يكتسبه ويصنعه الكاتب من خبراته، فهو موهبة تنمو شيئًا فشيئًا مع التمرين، فيجري هذا الفنُّ في عروقه مجرى الدم، ولا يعيبك أيُّها الصاعدُ سلّمَ هذا الفنِّ أن تقرأَ لمن سبقك في الكتابة وتستفيدَ من خبراته؛ لتكتسبَ مهارة الكتابة، ولكن احذَرْ أن تكون مقلّدًا، فأنا مثلًا أقرأ كتابات الأديب الفذّ مصطفى محمود، ولكنّني لا أتقمّص شخصيته، ثم أكتب، بل أقرأُ لأستفيدَ من مدرسته، ثم أبني قاعدتي المُنفرِدة المُميَّزة؛ أي شخصيتي الأدبيّة الخاصة.

النصّ الأدبيّ المُجرَّد من المشاعر، كالجثّة الهامدة تمامًا، فاحرصْ على أن يكون نصُّكَ حيًّا نابضًا، وغيّر شعور القارئ بمجرَّد أن يقرأ ما تكتب، فربّما يشبع حتى وإن كان جائعًا، أو يفرح بعد أن كان حزينًا.

أخي الذي يُصلِحُ ما يُشتّته الرّحيل

بشرى علي

في بيتنا طاولةٌ صغيرةٌ مركونةٌ في المطبخ، لا أحدَ يستعملها

وكنبةٌ لشخصين مُغبَّرةٌ في حوش المنزل، لا يستريحُ عليها أحد

وفرشةٌ صوفيّةٌ من صُنع جدّتي، كبيرةٌ ومريحةٌ لكنّها مطويّةٌ لا تُفرش

كوبٌ بُنيٌّ للشاي، مكسورةٌ يده، لا يُستعمل

تلفازٌ بسيطٌ مُعلَّقٌ على الحائط، لا حاجةَ له

دولابٌ كبيرٌ مصنوعٌ من خشب الصنوبر الثقيل، بأدراج عالقة لا تُعلّقُ الملابس عليه

مقلاةٌ من الألمنيوم الخفيف، لا يُطبخُ فيها

تبقى الأشياء على حالها طَوالَ اليوم، لا أحدَ قنوعٌ بما فيه الكفايةُ حتى يستعملَها!

في تمام الساعة الثامنة مساءً، يُعاد إحياء كلّ شيء، فعلى الطاولة يجلس أخي حتّى يأكل عشاءه البسيط، بذات المقلاة غير المرغوب فيها، بعد أن اغتسل وعلّق ملابسَ العمل داخل الدولاب الثقيل.

وعلى الكنبةِ يتمدّد ويقلّبُ هاتفه، وبيده كوبُ الشاي البُنيّ، وعندما تُلِحُّ عليه عيناه للنّوم، يطلب منّي أن أجلُبَ فرشةَ جدّتي حتى ينام، وفي العُطلِ يشاهدُ التلفازَ بكثرة، ويُقهقه على أفلامٍ كان قد أعادها للمرة الألف بعد المليون.

******

إنّهُ أخي، مَن يستطعمُ لذّة المنزل، مَن يصعد درج العمارة حتى يجلسَ على سطحه، مَن يمسكُ يد أُمّي ويُقبّلها حتى تشاركَهُ حديثَهُ عن عمله، مَن يرسمُ للمنزل أبوابًا بأقفالٍ موصدةٍ حتى يأمن على البيت عند الغياب.

إنَّه أخي مَن يزرعُ النعناع والميرمية، مَن يُصلح مِرشّ الماء، ويدهن حوائط المنزل ودواليب المطبخ، والإضاءات وأسلاك التلفاز، مَن يُصلح ما يُخلِّفهُ الإهمال، ويجمع ما يُشتِّتهُ الرحيل.

إنَّه العزيز الذي لا يبرحُ مكانه – مهما بدا اليوم ماطرًا – بالخذلان، مهما اشتدّت الأيّام وتهاوت الأدوار، إنّهُ عزيزٌ يا إلهي، إنّهُ عزيز.

******

يُخالجني شعورٌ مُكثّفٌ بالامتنان، لكنَّ الغرابة عند البوح تجعلني أحتفظُ بالكلمات لنفسي، كم أنت كثيرٌ جدًا يا أخي، موجودٌ دائمًا، مِعطاءٌ كثيرًا، تتناسبُ تمامًا مع ما ينقصه هذا المنزلُ حتى يكونَ البيتُ صالحًا للحياة.

أنا مُمتنّةٌ لجميع الأدوار التي تأخذها، وهذا الامتنان الناقص لا يُسعف ثِقلَ كاهلك، لا شيءَ قد يُرجِعُ لك السنوات التي أُخِذَتْ منك، ولا سيُحقّق ما تمنّيتَ أن يكونَ لديك، ولا سيُخفّف عنكَ هذا الكمّ من المسؤوليات، فسامحني لأنّني قد أكونُ أحدَ الأسباب.

أحبُّكَ بقَدْرِ حُضورك، وبقَدْرِ ما أخذت الأيّامُ من دقائق عمرك، وبقَدْرِ ما تمنحه للجميع، وبقَدْرِ ما تُكابدُهُ، إنّني مُمتنّةٌ جدًا؛ لأنّكَ أخي.

أمطارُ فبرِواري

عمرو شرف

دنيا

تجودُ

وتستردُّ

وتبخلُ

قصدًا

بما تخشى وما تتأمّلُ

يا أمنياتي مِثلُكُنَّ أنا

بعيدٌ عن يديَّ ومُتْعَبٌ ومُؤجَّلُ

أنا كالضّبابِ

وحزني الممدودُ في رئتي – كحبّكِ –

زائرٌ مُتطفِّلُ

أنسابُ بينَ الذّكرياتِ إلى صفا عينيكِ مضطربًا

كأنّي جدولُ

هل كانَ في فيضانِ روحي قطرةٌ تروي زهورَ الحُبِّ في ما تذبلُ

سأضمُّ كفَّكِ في خيالي كُلَّما خطرتِ بأفكاري التي لا تحصلُ

وأشُمُّ عطرَكِ كُلّما «أمطارُ فبرِوارِي» النّديَّةُ فوقَ جُرحي تهطلُ

يا لمعةَ الشُّهُبِ المُضيئةِ في العيونِ وقد تملّكنا اللقاءُ الأولُ

نمضي ووجهتُنا التّرقّبُ والظّنونُ

وكلُّ ما قد نشتهي أو نجهلُ

متناثرينَ على اتساعِ مدى الحقولِ سنابلًا

ويدُ النوايا مِنجلُ

والآنَ

وحدي في الفراغِ

بلا صدى

وحدي

وأسئلتي

أُجيبُ وأسألُ

«أوليسَتِ الأيّامُ تلكَ رواجعًا؟

أبدًا

ولكن خَلِّ دمعكَ ينزلُ.

توقيعات

حلا باسم القبيلات

(1)

(وميض)

حلمتُ أنَّني مُت

كان الجميع حولي

لستيقظت

شعرتُ بخفَّة

لمستُ صدري

هناك شجرة.

أخبرتني أمي

أنَّ الحياةَ وميضٌ

وسيختفي سريعًا

عليَّ الاعتناءُ بشجرتي

فكلُّ ما ينبت فينا

يصبح جزءًا منّا.

(2)

(فجأة)

صنَّفتُ الحياةَ شيئًا مخيفًا

أرعبَتْني كثيرًا

حتّى اعتزلتُها

بنيتُ جُحري

حصّنتُهُ بأشيائي الغريبة

كانَتْ أفكاري تُضيئه

فجأةً

يظهرُ وجهُكَ من بينِ الزّحام

يُحرِّرُني من كلِّ القيود

وأُحِسّ قلبي يُرفرف بحرارة

كعصفورٍ صغيرٍ

يكتشفُ أجنحته للمرة الأولى.

(3)

(مؤامرة)

رأسي

يحملُ الكثير

يقعُ من بينِ أكتافي

يصطدمُ بالأرض

لا أحدَ يلاحظ

في نهاية اليوم

أفكُّهُ

أُفرِّغُهُ من الأفكار

أضعُهُ جانبي

وأنام

أستيقظُ

أشعرُ به

يُحيكُ أفكارًا

تُمرضني

مؤامرةٌ أخرى

سَتُسلَّطُ عليَّ

أنا المسكين

الّذي لا يُحِبُّهُ

حتَّى رأسُه.

(4)

(يديالكبيرة)

نهايةَ اليومِ

أتكوَّرُ في حُضني

يدي الكبيرة

تُربِّتُ على كَتِفي

أراني قد كبرت!

وحاجتي لكلِّ ما حولي

قد خفَّت

اليومَ

لا أطمعُ

بعائلةٍ حاضنةٍ

أو مجموعةٍ من الأصدقاء

كلُّ ما أحتاجُهُ

هو كَتِفي

ويدي الكبيرة

تُربِّتُ عليه.

أشدُّ وَقْعًا

معتصم النداف

استيقظَ خالدٌ في بيته المملوءِ بالمحبّةِ والرضا في صبيحةِ يومٍ ليس مثلَ سابقِه، فلم يَعْتَدْ على الاستيقاظ في صباحٍ مبكّرٍ تحملُ خباياه مفاجأةً حملُها ثقيلُ الوقع، كأنَّها عبارةٌ تطرقُ مسامعه: كيفَ حصلَ هذا؟ وهل أبلغتم عمّنا الكبير بذلك؟

تراكضت الأرجلُ نحو الهاتف الثابت عند سماعها نداءات الأخ الكبير بضرورة إبلاغ العمّ الكبير، وما يزال خالد صاحبُ الأعوام العشرة يختلس النظرَ بصمتٍ ودهشةٍ وذهولٍ، يتساءل: ماذا حدث؟ ماذا هناك؟ أين أبي؟

لا جواب.. لا أحدَ يجيب.

وبقي خالد الفتى الصغير يُتابع الأحداث، ويشاهد، ويسمع الهمسات غير المفهومة، ثم يُكرّرُ سؤاله مرةً أخرى: أين أبي؟

لا جواب.. لا أحد هنا يُجيب خالداً، الكلّ منشغلٌ، الجوُّ مشحونٌ، والأعصابُ منشدّةٌ، تارةً بحزنٍ، وتارةً أخرى بقلقٍ.

الأخ الكبير: لقد أبلغتُ عمَّنا الكبير، وهو في الطريق إلينا.

الأخ الأصغر: ماذا نفعلُ بما يخصُّ مراسمَ الجنازة والدفن؟

الأخ الكبير: لا عليك، ننتظرُ مجيءَ عمِّنا.

ينظر خالدٌ بدهشةٍ وهو يستمع للحوار الدائر بين الإخوة، وقلبه يرتجف، والخوف يسيطر عليه، أصابَهُ الذُّعرُ، وقدماه تكادان لا تحملانه.

قال أحدهم: لقد وصل عمُّكم.

هُرِعَ الإخوةُ لاستقباله والدموعُ تذرف من أعينهم، وكأنَّ دموعهم كانت تنتظر أن تنهمرَ في حضن عمِّهم الدافئ. وبكلِّ حزمٍ وقوةٍ، وشيءٍ من القسوة، قال العمّ: «لا تبكوا مثل النساء، بدها وقفة رجال، أنتم كبار».

الأخ الكبير: إن شاء الله يا عمّي، الله يصبرنا.

العمّ (للأخ الكبير): اذهَبْ وأبلِغْ حفّار القبور، ولا تَعُدْ إلّا وهو برفقتك، ما ظل وقت.

الأخ الكبير: حاضر يا عمّي، هل أُبلغه بالمباشرة بحفر القبر؟

العمّ: بالتأكيد.. لا تنتظر.

العمّ (للأخ الأصغر): اذهَبْ أنتَ وأحدهم إلى المشفى، واحرصا على تجهيزه وغسله وتكفينه.

توزّعت المهامُّ على مرأى من عيني خالد، فأخذ كلُّ واحدٍ من الإخوة مهامَّهُ وأعمالَهُ الموكلةَ من العمّ بكلّ جدّيّةٍ وحزمٍ، ولا يزال خالد يقف مندهشًا يتابع ويشاهد ويسمع، وهو في حالة من الصدمة، كأنَّه يشاهد أحداثًا من فيلم دراميّ، وعيناه تلتفتان يمينًا ويسارًا تبحثان عن والده الذي افتقده بين الجموع، فبات يستشعر أنَّ صاعقةً سوف تحلُّ به، فما عاد يُكرّرُ سؤاله: أين أبي؟ كأنَّهُ أصبح يخاف من الجواب، ويُفضِّلُ أن يبقى في تيهٍ على أن يعرف.

بدأ الناس بالحضور، وازدادت أعدادهم، منهم مَن حضرَ من البلدة نفسها، ومنهم مَن جاء من أماكنَ بعيدةٍ، اجتمعوا وتبادلوا الأحاديث مُردّدين: «الله يرحمه»، «كان رجلًا طيّبًا»، ومنهم مَن كان يتساءل: «كيف مات؟! الله يرحمه بعده صغير».

كلماتٌ كالرصاص تقع بقلب خالد الذي بدأَتْ تتّضحُ له معالم الأحداث الجارية، ويستشعر ما يجري؛ ليخرّ أرضًا مُردِّدًا: «مات أبي.. مات أبي.. مات أبي».

يا لها من لحظةٍ مؤلمةٍ بعمق الجرح!! عندما استيقظ على كلماتٍ هي أشدُّ وقعاً وأكثرُ بطشاً، تتسلّلُ إلى قلبه لتُعلِنَ أنَّه أولُ القتلى، وآخرُ مَن يموت.

عيني أنا بعينها

سالم المحادين

أنا ابنُ الثمانينيّات، ابنُ ذلك الجيل الذي تَتَلمذَ موسيقيًّا على أغاني خالد عبد الرحمن، من العام 2000 فصاعدًا، كان يكتسح الجوَّ بأغانيه، أنتَ لكونك مُقيمًا في الجنوب، فالأمرُ ليس اختياريًّا، أينما حللتَ وارتحلتَ، فستستمع إلى صوته عنوةً، ثم ستُحِبّ أغانيه شئتَ أم أبيت.

على الصعيد الشخصيّ كنتُ حينذاك يافعًا في جامعة مؤتة، أغلبُ الباصات كانت لا تراعي الترتيب الموسيقيّ الاعتياديّ المُتعارَف عليه، والمرتبط بتقسيمات النهار، لا فيروز تبتدئ صباحًا، ولا بعض الأغاني السريعة تتصدّرُ المشهدَ وقت الظهيرة، ولا أمّ كلثوم تُشكِّلُ سيّدةَ الطرب المسائيّ كما هو الأصل.

متى ركبتَ الباصَ ستسمع تساؤلَهُ عبر السمّاعات: (تِقوى الهجر؟) ويُخبرك فورًا: (ما نجبره من عافنا ما ينجبر!)، تلتقطُ أنفاسَكَ لمحاولة استيعاب تلك الحدِّيّة، فيواصلُ مُغلِقًا أمامك كافة طرق الهدوء: (جرحي عميق والقلب في دمه غريق، وتبغى الصبر ويلاه من وين الصبر، مهما تقول لا تعتذر، دام الهوى ما له على قولك عذر! والجرح يا جرحي يداويه الصبر ليه العذر؟).

ربما – وفي أفضل الأحوال – ستستمع إليه يقول: (ماني على فرقاك يا شوق ناوي، مير الزمن له وقفة بين الأحباب، يشهد على ما قول قلب شقاوي، ودمع نثرته بان من بين الأهداب)، يا ربّاه! تصفن مع ذاتك ونفسك متسائلًا: أين المفرّ من هذا العذاب المُمتع؟!

الطريف والجميل في الأمر أيضًا، أنَّكَ ستصل من خلال تفاصيل الجروح والغراميّات الموجودة في كلمات أغاني خالد عبد الرحمن، إلى حالات عشق وعلاقات عاطفيّة غير موجودة على أرض الواقع، تُقحِمُ نفسك فيها خيالًا لمواكبة الزخم المتفشّي عبر الكلمات والحيثيّات التي تحيا أغلب الوقت داخل صراع وصعوبة استمرار رفقة الكثير من المعاناة طبعًا.

نكهة جنوبيّة طاغية تفرض نفسها، حتى إنَّ أحبّتَنا من خارج الكرك عادوا إلى مدنهم ومحافظاتهم حاملين شهادات البكالوريوس، بالإضافة لبعض القسوة الموسيقيّة، ثقافة ذات تضاريس صعبة شكّلَتْ حالةً وجدانيّةً راسخةً، وصبغةً مختلفةً تُميِّز ابن مؤتة، أليس مَن عاشر القوم أربعين يومًا صار منهم؟ كيف بأربعة أعوامٍ على الأقل؟

مرّت عشراتُ السنين، وما زلتُ كلّما حانت الفرصة أردّدُ: (عيني أنا بعينها والقلوب بعاد، أخشى هدب عيني يلامس هدبها، مقوى الحكي حينها والقلب ما اعتاد على لقى الذي حبها من عرفها)، ما زلتُ أيضًا أجهل أو أتجاهل المعنيّة بالغزل، لكنّهُ التشبّثُ حينَها بتلك الموسيقى، أقحمني في فلسفةٍ مفادُها أنَّ جميعَهُنَّ جميلاتٌ، وأنَّ في كلِّ الأهداب – ولهنَّ – عطرًا مختلفًا يباغت العقل، منتقلًا به نحو آفاقٍ لذيذةٍ وشهيّةٍ.

نشيجُ الياسمين

خلود الإبراهيم

مررتُ به كجبلٍ انهارَ بغتةً، انهارَ قلبي، انفجرت الذكرياتُ من شقوقِ الذاكرةِ دفعةً واحدةً، شعرتُ بجسمي يرتجفُ كغصنٍ أمامَ زوبعةٍ.

البيتُ مهجورٌ، الشرفةُ استسلمَتْ لتقلّبات الفصول، بابُها الخشبيُّ الذي لم يُشرَعْ منذ زمنٍ، تسلّقَتْ عليه ياسمينةٌ استباحَ عروقَها الظّمأُ واليباسُ، وأعشاشٌ مهجورةٌ تراكمَتْ على حافّتها. كنتُ أظنُّ أنَّ في الغيابِ شفاءً لكلِّ ما كان، لكنّي أدركتُ أنَّنا كلّما بالَغْنا في الغيابِ، تورّطنا بالذكريات أكثر.

لقد كان يجلسُ بالشرفةِ صباحَ كلِّ يومٍ، يقرأُ الجريدةَ ويحتسي القهوةَ على مهلٍ، عندما كنتُ أمرُّ به، كان يتوقَّفُ عن القراءة، يرنو إليَّ، وكنتُ أُهرِّبُ نظري لكيلا تقع في شباك عينيه. كنتُ أتعثّرُ في المشي أحياناً، وأتمهّلُ في سيري أكثر الأحيان.

كلّما لمحتُ وميضاً في عينيه وابتسامةً عذبةً تتولّد على شفتيه، أتلعثمُ في النظر، كلّما مررتُ به كان يقتربُ بطريقةٍ ما، وكنتُ أرسمُ حلماً في عالمٍ من سحاب، أخذ الفرحُ يتّسعُ في قلبي ويتجاوز تخوم الأماني.

ذات يومٍ مررتُ وعيناي معلّقتان بالشرفة، لم يكن هناك، جَزِعْتُ وارتجفَ قلبي، ليس من عادته الهجرُ أو الغياب، عندما وصلتُ حدَّ الباب فاجأني بوقوفه وهو يحملُ في يده زهرةَ ياسمين نديّةَ الحبّ، ترتجف مع ارتجاف أنامله.

بدَتْ ملامحه أكثرَ جاذبيّةً وكذلك هيئته، تمتدُّ في عينيه صفحةُ بحرٍ لا يُعكِّرُ صفوَها أيّةُ موجة، مدَّ لي يده والياسمينة تغفو بسلام فيها، اختطفتُها بعد أن التفتُّ حولي، سرتُ على عجلٍ كمَنْ يلحقهُ وحشٌ ما، مبتعدةً في الأزقّة، سرتُ محتضنةً زهرتَهُ وتفاصيلَه، لم يكن ثمّةَ حديثٌ، لكنَّ حكايا كثيرةً تراكمَتْ بيننا، أخذتُ أحفرُ صورتَهُ في الفراغِ كلّما شقّتْ تنهيدةٌ صدري عَنوةً.

وبعد عدةِ أيّام، مررتُ بالبيت، لم يكن بالشرفةِ، اقتربتُ من الباب بحذرٍ شقيّ، كان يقفُ مع أمّهُ في الحديقة، كانَتْ تُحدِّثُه بشيءٍ وهي تُحرِّكُ يديها، ويردُّ عليها بإشاراتٍ من يده. انتبها لوجودي، بلطفٍ جميلٍ ألقَتْ عليَّ تحيةَ الصباح، تسمّرَ في مكانه، وكنتُ مثلَهُ، لا شيءَ يتحرّكُ فيَّ، عادَتْ أمُّهُ تُحدِّثُهُ بلغةِ الإشارةِ، كانَتْ نظراته تتأرجحُ بيننا، كسهمٍ لم يقفْ في طريقه شيء.

أصابني الحزن، سألتُ نفسي: «هل خذلَتْني الأحلامُ قبل أن تكتمل؟»، ارتعشَ قلبي، أحسستُ بالهواءِ يتناقص من رئتيَّ، وبعينيه تحبسان بكاءً مرّاً، كنتُ أقفُ في مكاني مُعلَّقةً في زمنٍ لا ينتمي للزمن، تتلاطم أمواجُ الأسئلة في ذهني، تحملني وتُقصيني بعيداً، لملمتُ روحي المُتشظّية، وركضتُ ألوذُ في طريقٍ لا يسلكها أحدٌ تحتَ مطرِ آذار.

مضى عامٌ، وكأنّه لم يمضِ شيءٌ على الوجع الذي لم يرحلْ لحظةً، اليومَ تواعدتُ مع صديقتي أن نلتقيَ بالقرب من بيتها الذي يجاور بيته، قاطعَتْ سهوي – وأنا أُحدِّقُ في الشرفة – بسؤالها: «هل تبحثين عن بيت؟ البيتُ معروضٌ للبيع، إنّهُ مهجورٌ منذُ آذارِ الماضي، لقد انتحرَ الشابُّ الأبكمُ الذي كان يعيشُ فيه مع والدته».

يوم الاعتراف بالهزيمة

حنين إبداح

للوهلةِ الأولى بدا هذا الصباحُ ككلِّ الصباحات الفائتة، لا جديد، يومٌ آخرُ ملعونٌ بسُحبِهِ السوداء الكئيبة، وهجُ الملل ينبعثُ في كلّ لحظات ذلك اليوم الطويل، يلتهمُ العملُ ساعاتِ نهاره؛ لأعود مُنهكةً في آخرِهِ إلى بيتي؛ ليتكفّلَ الليل بالتهام ما تبقّى من يومي، كنتُ في ذاك الصباح أتابعُ دونَ تركيزٍ السيّاراتِ المارّةَ من شباك المدرسة – التي أعمل فيها معلّمةً للفنون الجميلة – حتى يُقرَعَ جرس الطابور الصباحيّ.

إلى أن توقّفت ببطءٍ لاذعٍ سيّارة (نورس) السوداء أمام باب المدرسة، فيُنزل من السيّارة أطفاله بالزيّ المُوحّد، وظهورهم مُثقلةٌ بحقائبهم المدرسيّة، داخلين مدرسة (جانيت)، وما إن نزلوا حتى يطير النورس بسيّارته بلا أجنحة، مُخلِّفًا وراءه لوعة قلبٍ لا تُنسى، وذكرى لا تُمحى.

وقتئذٍ كانت الأسئلة تتأجّجُ في صدري، كيف يمرُّ هكذا ولا يفصلني عنه إلّا قيد لحظات؟! كيف يمرُّ مرّ السحاب دون أن تُمطر أملًا بلقائه؟! لماذا يُشيح بوجهه عن لقائي؟! وهو الذي يعلم بأنّي كم أشتهي أن ألمحه لو من بعيدٍ.

صحيحٌ أنَّ إجازته في الأردن شهر تقريبًا؛ ليعود إلى عمله خارجها، لكنَّ هذا لا يُبرّر تصرّفاته، كان بإمكانه في محادثتنا الصباحيّة – حيث اعتدنا أن نتبادل تحيّات الصباح منذ شروق شمسه – أن يقولَ لي إنّه سيمرُّ بالمدرسة لإيصال أولاده، ويتعذّر عن عدم تمكّنه من رؤيتي، ويعدني بأن يحاول – قدر استطاعته – أن يلتقيَ بي خلال هذه الإجازة، مُبديًا لو أدنى رغبة بلقائي، لكنّه لم يفعل، وأنا لا ذنبَ لي سوى أنّي كنتُ أختلق له ألف عذر؛ لأغفر له تقصيره ولامبالاته بي دائمًا.

لا ذنبَ له إلّا أنّي منحته رغمًا عن أنف الحقيقة التي تُدركها جميع حواسي يقينًا، ما لا يليق به من ملامح قُدسيّة، كم كنتُ عاقّةً لما يُمليه عليَّ العقل بشأنه، كان يمتدّ في عروق الزمن حضورًا في الوقت الذي يتبخّر فيه دخانًا صاعدًا له حظّه من البقاء دقيقةً من الزمن؛ ليتلاشى تمامًا، كنتُ أُقنع ذاتي أن أؤمن بكينونته التي يأبى الوجود ذاته الاعتراف بها، وكم كنتُ أعشق تلك الغشاوة التي أبصر بها ما أحبّ أن أراه مُتجسّدًا فيه، ربما كنتُ ساذجةً، بل كذلك كنت.

وصحيحٌ أيضًا أنّي لم أعترفْ له يومًا بأنّي أحبّه؛ كوني أنثى بعقلٍ شرقيٍّ، استمعتُ لكثيراتٍ من رفيقاتي – وهن يقرأن على رأسي – بألّا أعترفَ لرجلٍ في أيّ يوم بأنّي أحبّه؛ لأنّه يجب أن تكون زِمامُ المبادرة من قِبله، ولكنّي كنتُ أقول في قرارة نفسي إنَّ القولَ بالحبّ لا شيء إذا كانت الأفعالُ شواهدَ.

أغمضُ عينيَّ كيلا أرى أطياف سيّارته في كلّ صوب، أضع يديَّ على أذنيَّ بقوةٍ؛ كيلا أسمع قهقهةً ساخرةً من عجلاتِ سيّارته المُسرعة تتعالى؛ لأنَّ ذلك من شأنه أن يرفع منسوب الغضب في نفسي وبؤسها، وأنا أُردّدُ في أعماقي بغضبٍ عميقٍ: «لا أريدُ أن أرى شيئًا، لا أريدُ أن أسمعَ شيئًا، لا أريد.. لا أريد».

وكنتُ كلّما هدأت أصواتُ الضجيج بداخلي قليلًا، كانت ملامحه الساخرة بأن لا وجودَ لي في حياته تخنقني، وصخب ضحكاته الذي يتعالى مع زوجته التي كانت ترافقه في السيّارة، يُمزّق أوتار روحي، كان المشهد يكتظُّ بالتفاصيل التي يصعب تجاوزها والخروج منها، فقد كانت تأكلني ببطء، تأكل كلَّ جميلٍ بداخلي، كلّ أحلامي وخيالاتي الخصبة.

وهكذا استمرّ الحال، إلى أن رجّحتُ فكرة الخروج من مدرسة (جانيت) مهما تكلّف الأمر منّي، فقرّرتُ أن أخرجَ من تلك المدرسة اللعينة إلى غير عودةٍ، غير آبهةٍ بالنتائج، فما أصابَ قلبي سيتجدّد بالتأكيد كلّما تطأُ قدمايَ أعتاب المدرسة، فقد كانت أشبه ما تكون بمكانٍ مظلمٍ تلفّه الكآبةُ والضوضاءُ البطيئةُ التي تُشعرني بوخزٍ في القلب.

مضيتُ ولا أعرفُ إلى أين في هذا الصباح الباكر، لا أدري أين سأتوجّه، فإن ذهبتُ إلى البيت سأتلقّى فوجًا كبيرًا من الأسئلة عن أسباب مجيئي في هذا الوقت، وما كنتُ لأعرف كيف أتملّص منها، وأنا في هذه الحالة من البؤس.

خرجتُ من المدرسة اللعينة، أشمُّ الهواء الساخن المنبعث من احتراق قلبي، ورغم الجوّ الحارّ في أواخر أيام شهر آب (آب اللهاب)، أحسستُ بارتعاشةِ برودةٍ، ولكنّي مضيت في مشيي، لا أفكّر بشيء إلّا بسخرية (نورس) ولامبالاته بي، وفي كلّ خطوة كنتُ أخطوها أشعرُ بأنَّ شيئًا ورائي يتعقّبني عن قرب، إلى حدٍّ أصابني بالقلق والخوف، كأنَّ ذلك الشيء يسعى إليَّ، سيهاجمني، كلّما أسرعتُ أكثر كنتُ أسمع لهاثه، أقاوم خوفي في أن أنظر ورائي، حتى وقفتُ رغمًا عن خوفي، ونظرت ورائي فجأةً، كان طيف (نورس)، ما إن نظرتُ إليه حتى اختفى وتلاشى، لكن ظلَّ ضجيجُ قهقهةٍ يدوّي في الشارع.

ذهبتُ إلى جامعتي الجامعة الأردنيّة – التي لم تكن تبعد كثيرًا عن مدرسة جانيت – حتى يمضي بعض الوقت وتهدأ أعصابي، وكنتُ أُحدّثُ نفسي وأنا أُجالسها على مقعدٍ خشبيّ مهترئ تحت الأشجار، بأنّي كم اضطررتُ مرةً تلو أخرى لتأجيل الاعتراف بحبّه، ربما على أمل أن يُبادر هو كما كانت رفيقاتي يوصينني بعدم الاعتراف أولًا، وربما على أمل أن يأتي الوقت الملائم، لكن هذا الوقت قد لا يأتي؛ لأنّي أعرف أنَّ الحياة تحترفُ الغدر، تحترفُ سرقة الأشياء الجميلة، تسرقُ الأماكن، تخطفُ البشر، تلتهمُ الوقت، مع أنّي أحاول أن أواجه غدر الحياة وأقاومها بالوقت، على مبدأ الدواء من جنس الداء، لكنَّ الوقت هو عينه يتسلّلُ، ينصهرُ، يتلاشى، ولا يبقى منه سوى الذكرى، وعلى أنَّ الذكرى تُغذّي الروح بكلّ اللحظات الجميلة التي مرَّتْ، إلّا أنّها تُخلّف اللوعات التي تتراكم يومًا بعد يوم.

لم أحتمل المزيد، كلمات أخيرة قلتها قبل أن أتّصلَ به وأعاتبه على فعله، فأدهشه حجمُ ردّة فعلي، فسألني عن سبب كلّ هذا، فما كان منّي إلّا أن أعترفَ له لأول مرة بأنّي أسيرةُ حبّه، وأنَّ هذا القلب لا ينبض إلّا به، وأنَّ هذي العين لا تُبصر إلاه، وكأنّي في اعترافي له أهربُ من حزني إلى مُفتعِله، متّكئةً على هشاشتي، بعد أن خانتني قوّتي التي طالما اعتززتُ بسطوتها، أدمَتْ قلبي خيبتُها، وتعثّرت بخطايَ إلى أحلامي، وما كانت لتهتديَ إلّا به.

هذا ما أقنعتُ به ذاتي الثكلى، يا لحماقتي! ما كنتُ أبصر دربي السرمديّ الغامض يودي بي إلى حتفي، جئتُ أوهمها بأعذارٍ أُنصفه بها رغم ظلمه، وأخلُقُ له نعوتًا لا تليقُ به، وأسرقُ من ملامحِ الأطفال البريئة ما أقدّسُ به سحنته، وأستجدي فرحًا مزيّفًا وأنا أقف على قارعةٍ لا وجود له فيها، فمن اللاوجود أراه، وبالوعي أشعر به، وأقهقه قهقهةً هستيريّةً «هههههه هههههه»، ما كنتُ أجهلَني!

كلماتٌ أخيرةٌ قلتُها له، باعترافي لأول مرة بصريح القول بالحبّ، قبل أن أسيرَ إلى بيتي بنصف ظلٍّ، وأنا أشربُ نخبَ الاعتراف بالهزيمة.

ابنتي وأعرِفُها

هدى الأحمد

يسيرُ بخطىً ثابتةٍ، رافعًا رأسَهُ، فاردًا صدرَهُ كأنَّهُ عائدًا للتوِّ منتصرًا، أنظرُ إليه وهو يلفتُ نظري ونظرَ الجميع، فقالت أخرى لصديقتها: «تُعجبُني عضلاتُهُ المفتولةُ». أمّا الرَّجلُ العجوزُ الجالسُ على كرسيِّهِ أمامَ مَتجرِهِ، فقد همسَ لنفسِه: «قد كنتُ يومًا أسيرُ بنفسِ الطّريقةِ، سيأتي اليومُ الّذي بالكادِ يقفُ فيهِ على رجليهِ مثلي!».

دخلَ إلى المنزل متأفِّفًا صارخًا في وجهِ (سعادَ) الّتي تزوَّجَها بعدَ أن خاضَتْ لأجلِهِ معاركَ كثيرةً.

أينَ الغداء؟ ألا تعلمينَ أنَّ هذا موعدُ قُدومي؟

انتظِرْ قليلًا.. سيأتي بائعُ الغاز، فقد اتصلتُ بهِ منذُ نصفِ ساعةٍ.

بغضبٍ غيرِ مُبرَّرٍ صرخَ في وجهها: «أنتِ زوجةٌ مهملةٌ، لماذا تسمحينَ للغازِ أن ينتهي؟! لماذا لم تتنبهي للأمر؟».

ضبطَتْ نفسَها وأجابَتْهُ بكلِّ هدوءٍ: «لا أعرفُ أنَّها ستنتهي الآنَ، ولكن لا عليكَ حبيبي، سأصنعه بسرعةٍ إن شاء الله». استشاطَ غضبًا، وأخذ يشتُمُها بصوتٍ عالٍ، بل أقدمَ على لطمِها وهي لا تملكُ غيرَ الدموعِ إجابةً!!

كانَ ما بينَ نُهوضِها وذهابِها لفتحِ البابِ دهرًا، استحضرَتْ فيها كلَّ ما جرَتْ بهِ الأيّامُ، استقبلَ بائعَ الغاز بكلماتٍ لطيفةٍ ودودةٍ، كأنَّهُ صديقٌ حميمٌ، دفعَ لهُ المالَ، ونادى عليها شاتمًا، والصمتُ يعُمُّ أرجاءَ المنزلِ، فلم يجدْها، وجاءَ جوابُ الجوّالِ: «المُشترك لا يمكنُ الوصولُ إليه». عندها بدأ الدَّمُ يغلي في عروقِه، اتّصلَ بوالدِها، فأخبرَهُ الأخيرُ أنَّها لم تأتِ، انتظرَ ساعةً وساعتين، لكنَّها لم تَعُدْ!

مضى على غيابِها أسبوعٌ كاملٌ، هاتفُها دائمًا مغلقٌ، اتّصلَ بصديقاتِها وبمعارفِها، سأل عنها في المشافي القريبةِ، ذهبَ إلى المدرسةِ الّتي تعملُ فيها، ولكن لا خبرَ جديد، سوى أنَّها قدَّمَتْ طلبًا لإجازةٍ مدّةَ سنةٍ كاملةٍ.

وحدَهُ أبوها كانَ يَقول: «ابنتي وأعرِفُها.. لا يُمكن أن تفعلَ ذلك إلّا لسببٍ قاهرٍ كبيرٍ، وأنا أثقُ بها، ولستُ بخائفٍ عليها، ابنتي وأعرِفُها».

وهي الزوجة التي أحبَّتْهُ منذ كانا في الجامعة، ورفضَتْ كلَّ مَن تقدَّمَ إليها، فكانَتْ له الحبيبةَ والصديقةَ، جميلة الصمت، طيّبة الطِّباع، تتحمّلُ كلَّ انفعالاته وقسوته، خاصة بعد دخوله سلك الأمن العام، فكلُّ هذا جعلها لم تُخبِرْ أحدًا بقسوةِ (جمال) عليها، فقد كانَتْ دومًا يحدوها الأملُ بأن تتغيّرَ تصرّفاتُهُ.

مضى أسبوعان على غيابِها، اتَّصلَتْ بوالدِها قائلةً: «لا تقلقْ يا أبي.. أنا بخيرٍ». ابتسمَ وقال: «ابنتي وأعرِفُكِ، لن أسألَكِ عن سرِّ غيابِكِ، فقط أريدُ أن تتّصلي بي يوميًا، وإذا احتجتِني، فقط أخبريني، وسأكون...»، قالت: «شكرًا للّهِ لأنَّكَ أبي».

مضتِ الأيّامُ و(جمال) يعيشُ في حيرةٍ كبيرةٍ، لكنَّهُ بعدَ ثلاثةِ أشهرٍ تزوَّجَ من امرأةٍ أخرى، حتّى إنَّهُ لم يُفكّرْ في البحثِ عنها أو إبلاغ الأمنِ عن غيابِها، وهذا ما كانت الزوجةُ تُريده! هل سيقابلُ غيابَها بالشوق والحنين؟ أم أنّه فعلًا تغيَّرَ وقتلَ الحُبَّ في داخله؟

بعدَ سبعةِ أشهرٍ، اتّصلَتْ بوالدِها طالبةً منهُ القدومَ، وصلَ إليها وهي في حالةِ مخاضٍ، حملَها إلى المستشفى، ووضعَتْ طفلةً أسمَتْها (أمل).

عرفَ الزَّوجُ بحملِها حين التقيا في قاعةِ المحكمةِ، حيثُ كانَتْ قد رفعَتْ عليهِ قضيةَ خُلعٍ منذُ يومِ ولادتها، ولم تتأخّر في إقرار قَبول الخلع.

نظرَتْ إلى أبيها وقالَتْ: «شُكرًا للّهِ أنَّكَ أبي».

ردَّ مبتسمًا: «ابنتي وأعرِفُك.. أن تصلَ متأخّرًا خيرٌ من ألّا تصل أبدًا، فأنتِ حلمٌ وهو وهم».

ابتسمَتْ وهي تردّدُ: «نعم لقد كان وهمًا».

لوحة الفنان شادي غوانمة/ الأردن

لوحة الفنان أيمن غرايبة/ الأردن

روح قبالة مفازات عالية

إكرام العطاري

روح قبالة مفازات عالية

إكرام العطاري

تتزاحمُ الذكرياتُ؛ لأجدَ نفسي أُطِلُّ على الماضي، وقد حفرَتْ أيّامُهُ ما حفرت فيَّ من قصصٍ امتزجَتْ ببراءةِ الطفولةِ، وحسراتٍ على آمالٍ لم تتحقّق بعدُ، وما بين خيباتٍ كثيرةٍ تمخّضَتْ من رحمها النجاحات، أحدِّقُ فيَّ، طفلة شغوفة، أحاولُ، أجرّبُ، أسقطُ وأسقطُ مرارًا، ثم أعود لأُعمِّرَ ذاتي من رماد الذكريات.

كانت المدرسةُ كوني الأرحبَ، وأن تكونَ تلميذًا في مدرسةٍ عسكريّةٍ، يعني أن تكونَ مسؤولًا عن ذاتك في كلِّ شيء، وأن تبذلَ جهدَكَ للتميّز والاختلاف عن الآخرين، وهذا ما عشتُهُ في مدارس الثقافة العسكريّة، إذ كانت فلسفةُ المدرسة آنذاك داعمةً لشخصية الطلبة، وتغرسُ فينا الانتماء للفكرة وللوطن.

ومع بداياتي في التعلُّم، بدأتُ حالةَ التماهي مع القراءة، إذ كنتُ أحاول دومًا إتقان القراءة من دون أيّ أخطاء، فأُكرّرُ قراءتي للدرس مرارًا؛ لأحظى بفرصتي الذهبيّة آنذاك، في أن أكونَ أوّلَ مَن تقرأ النصَّ إثْرَ المعلّمةِ، وكنتُ في كثير من الأحيان أُنهي الكتابَ المدرسيَّ قراءةً، وأنا أقلّدُ «سوسن تفاحة» الإعلاميّة الأردنيّة العريقة، فأقرأُ النصَّ متظاهرةً أنّني مذيعةٌ أقدّمُ لجمهوري الخياليّ مادّةً إعلاميّةً خاصةً.

كان دخول المكتبة في الصف الرابع أعظم إنجازاتي، سُمِحَ لي حينها - وقد صرتُ كبيرةً وعلى قَدْرٍ من المسؤولية – أن أقتني الكتب من مكتبة المدرسة، فبدأتُ مسيرةً جديدةً مع عوالم القصص والأدب، لقد كان التسلّلُ إلى المكتبة في الوقت الذي تنهمك فيه صديقاتي باللعب وتناول الشطيرة، ألذَّ الأوقات على قلبي.

كنتُ أتركُ كلَّ شيءٍ حولي، وأذهبُ لأبحثَ عن كتابٍ أقضي معه وفيه أيام أسبوعي، فأنهمكُ باحثةً بين الرفوف، وتُساعدني في ذلك قَيِّمةُ المكتبة المعلمة «شُعاع»، التي كانت تُخبرني أحياناً أنَّ القراءة ستعود عليَّ بالخير العظيم، مؤكِّدةً على أهميّة الحفاظ على الكتاب دون أيّ «خربشات»؛ لأنّه «أمانة».

ولكنَّها لم تعلم أنّني كنتُ أتّخذُ من الكتاب مؤنساً ورفيقاً، لذا كان من المستحيل أن أخطَّ القلم على كتابٍ يحملني إلى عوالمه، كيف سأكونُ وفيّةً لكلّ الحروف التي قرأت، والأوراق التي شَهِدَتْ كلَّ ما اختلج الروح من بهجاتٍ، أو آلامٍ، أو آمالٍ؟

وأن أكون طالبةً في مدرسةٍ عسكريّةٍ، يعني أن أتشرّبَ المزيد والمزيد من الوفاء والولاء، وحانَتْ لحظاتٌ ترجمتُ فيها وفائي للكتاب، عبر ما خطّه قلمي في حصص الكتابة التعبيريّة في مادة اللغة العربيّة، حصصٌ كنتُ أنتظرُها بشوقٍ بالغٍ، على النقيض من زميلاتي، كنتُ أتخيّل شخصية «جودي أبوت»، أو «سالي»، أو «شمّا» وهنَّ يَبُحْنَ بالكتابة، فتتداحُ الأفكارُ عليَّ، وأنسج نصاً متيناً؛ لأنالَ حظوةً كبرى في قراءة ما خطّه قلمي في اليوم التالي، بعد أن هدّبَتِ المعلمةُ الدفتر بأجلِّ العبارات التشجيعيّة، والعلامة النادرة في ذلك الزمن (9.5/ 10).

سنواتٌ كثيرةٌ مرّت وأنا أتنقّل بين رفوف المكتبة وزوايا البيت، ما بين القراءة ومحاولات الكتابة، إلى أن ضجّ العالم بمشهدٍ أوغلَ سِكّينَهُ في الروح إلى الأبد، فكان مُحرِّكًا لبوصلةٍ جديدةٍ، عبارة سكنَت النفس، تطنُّ في أذني كأنَّ الموقف أمامي: «مات الولد.. برصاصة». كان الصوتُ المتألِّمُ هو صوت والد الطفل الشهيد محمد الدرّة، الذي اقتُلِعَتْ روحه بدم بارد على يد قوات الاحتلال.

اندلعت انتفاضة الأقصى الثانية، وحملت معها تحوّلاتٍ عدّةً، فتجرّدتُ من عمري حينها، واقتفيتُ بوصلةَ التغيير، وتتبّعتُ ما يجري في العالم، في المساء كنتُ أقرأ الصحيفة التي كان أبي يجلبها معه بعد عودته من العمل، وخلال النهار كنتُ أُجاور المذياع، لا أتركه ألبتة إلّا حين ينتهي إرسال إذاعة القدس في السابعة مساءً بحسب ما تبقّى من ذاكرة، أُراوِحُ ما بين نشرات الأخبار وأغاني مرسيل خليفة، وفرقة العاشقين، وما تيسّرَ من أشعار محمود درويش، وأدب غسان كنفاني، ومحمود سيف الدين الإيراني، وخليل السكاكيني.

كلُّها حرّكَتْ فيَّ روح الكتابة، وجدتُ نفسي أحظى بدفتر «أجندة» لذات السنة، فبدأتُ أخطُّ كلَّ يوم خاطرةً، أو نصًّا نثريًّا، أو ما يُشبه القصيدة، ولم أدّعِ يومًا أنَّني أكتب الشعر، فهو الفنّ المقدّس لديَّ، ومَنْ أنا لأمتلكَ بحوره؟ أو أدّعيَ كتابته أمام امرئ القيس، والمتنبي، ومحمود درويش؟!

ذات يوم أخبرتني معلمة اللغة العربية برغبتها في ترشُّحي لمسابقة كتابة القصة القصيرة، فلبّيتُ دعوتها بمودّة وشغف وإتقان، فالمدرسة غرسَتْ فينا حبَّ الإتقان لأيِّ عملٍ نقوم به، كأيّ جندي مغوار يُتقِنُ حفظَ الوطن في قلبه وبسلاحه، وكتبتُ أولى القصص من وحي الانتفاضة، أذكر أساتذتي في اللجنة، كم كانوا سُعداء بما قدّمتُ، وكم سَعِدتُ بنتيجة الفوز الأولى، وكم كنتُ فخورةً بتكرار المحاولة والفوز في العام الذي كنتُ فيه أستعدُّ لتقديم امتحانات الثانويّة العامة.

«بابٌ يُفتَحُ وتُفتَحُ معه أبوابُ الدّنيا».

جملةٌ قالها «حسن» في مسلسل التغريبة الفلسطينية، ما زلتُ أُكرّرها لطالباتي في المدرسة، تحوّلَتْ آفاقُ الكون أمامي، وامتلكتُ أولى مفاتيحي للخروج نحو العالم بخطىً واثقةٍ قويّةٍ حين اجتزتُ امتحانات الثانوية العامة، والتحقتُ بتخصّص اللغة العربيّة وآدابها في الجامعة الهاشميّة، وبدأت تتشكّلُ لديَّ حالة عشق أبديّة مع اللغة، فأختار موادّ جدولي الدراسيّ كأني أختار خيوطًا لأنسج لوحة فنّيّة تنبض بالجمال، وازداد حبّي للشعر أكثر وأكثر، ولم أعد أطمح فقط بالمرحلة الجامعيّة الأولى، صرتُ أحلم بالدراسات العليا، وأُخطّطُ لأجلها.

عدتُ إلى سابق شغفي بالمكتبة، كانت قِبلتي الفكريّة، وسبيلي للوعي، وعزلتي عن فراغ هذا العالم البائس، كنتُ أجعلُ الزمنَ ما بين المحاضرات ممتدًّا؛ كي أقضيَ أكبرَ وقتٍ بين أروقتها، لم أكن أقرأ فقط، بل كنتُ أقضي جزءًا من حياتي فيها، فأتابع دروسي، وأستمع إلى نشرات الأخبار والبرامج المتنوّعة عبر مذياع هاتفي، وأُحضِّرُ واجبات اليوم التالي، ثم أنتقي ما أودُّ استعارته من عوالم الرواية، أو القصة، أو الشعر، أو كتب النقد، ثم أعود أدراجي وكلّي شوقٌ للعودة في اليوم التالي لأمارسَ طقوس عشق القراءة، وما انثال عنها من كتابة.

ورغم كلّ ما يمكن أن يحيد بالإنسان عن بوصلته، فلا بدّ له من العودة إلى شغفه وذاته، وكما أنبأ أهلُ الأمثال والحكم، فـ»أن تصل مُتأخِّراً خيرٌ من ألّا تصل»، واليومَ أخطُّ هذا البوح، بالتزامن مع إعدادي لمشروع أطروحة الدكتوراة، وأبحث عن ذاتي التي تاهت ردحًا من الزمن، أُعيد ترميمها بالكتابة، وأنثر في قلوب طالباتي في مرحلة الثانوية العامة أملًا وعزيمةً، فأنفي من المعجم كلّ مُستحيل، فقد تكبو الخطوات، وقد تتوه الروح، لكنّها تعاود الانبعاث كما الفينيق؛ لتستمرَّ الحياةُ بوحًا وكتابةً.

حروفية الفنان سرور علواني/ سورية

المختبر

- الرواية والاستنارة: «النهضة والاستشراف» .... محمد عطية محمود
- متطلّباتُ التّرجمةِ للأجناس الأدبيّة من العربيّة .... آلاء البطاينة
- شداة النقد والإبداع: التاريخانيّة والبنيويّة .... ترجمة: د. حسين جمعة
- ما لا نبوحُ به إلّا لمنصّات التواصل الاجتماعيّ .... أحمد نصيب علي حسين
- الشّعرُ المعاصرُ إلى أين؟ غزارةٌ في الإنتاج.. انحدارٌ في الشعر .... د. سهى مشرقي

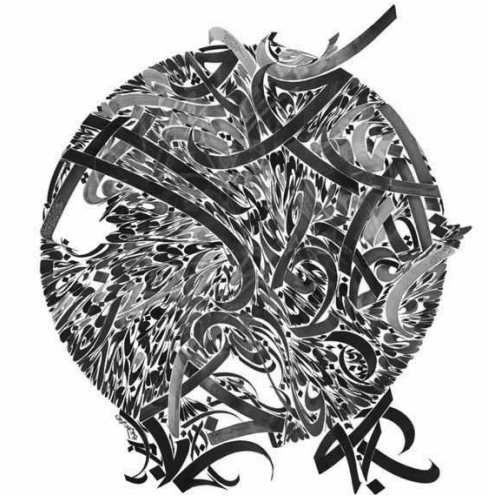

الرواية والاستنارة: «النهضة والاستشراف»

محمد عطية محمود*

تُمثّلُ الروايةُ في الوقت الراهن رهانًا إبداعيًّا مائزًا، يُعوَّلُ عليه في ازدهار الحالة الإبداعيّة المرتبطة بالواقع تجسيدًا وتسجيلًا ومواكبةً، ما يُمثّل انفتاحًا على هذا اللون السرديّ الإبداعيّ الذي كان يحتاج إلى دربة ودراية، وخبرة حياة وإبداع، ربما قرّبتها كثيرًا سرعة التواصل واتساع رقعته، ممّا يسّر كثيرًا من الخبرات الكتابيّة والحياتيّة لشريحةٍ من الشباب المُبدعين الذين اقتحموا هذا الحقل الإبداعيّ باكرًا؛ نظرًا للتراكم المعرفيّ الذي أتت به ثورة المعلومات والاتصالات، وتسارع وتيرة إيقاع الحياة، وكون العالم تحوّل إلى قرية صغيرة تتناقل التّقنيّات والمتغيّرات والأحداث على نطاق أكثر اتساعًا وانتشارًا، وسعيًا لتجسيد مفهوم الاستنارة العلميّة والإبداعيّة.

ذلك الذي مكَّنَ شريحةً غير قليلة من الشباب المبدعين العرب من اقتحام المشهد، وإن كان من خلال جهود إبداعيّة تغيّرت أيديولوجياتها وتوجّهاتها وآليّات تعاملها مع فنّ الرواية، الذي أصبح يستقي من كلّ الفنون، ومن الصور المرئيّة والوسائل البصريّة والسمعيّة، ما مكّنه من توسيع رقعة وجوده، ومن ثمّ تأثيره، وجذبه للعديد من الأقلام الشابّة، التي ربما زاحمت المشهد الروائيّ، وميدان الجوائز الأدبيّة التي أفرزت العديد من الأقلام الشابة الطموحة في مجال الكتابة الروائيّة، والتي لا بدّ من رفدها ودعمها بالمصادر الأصيلة التي يتّكئ عليها فنّ الرواية، كعمل فكريّ متّسق مع العديد من العناصر والعوامل وتاريخيّة فنّ الرواية، وهو ما يجعلنا نشتبك مع هذه الرؤية.

حيث يذهب الدكتور «جابر عصفور» في بحثه النقديّ التأسيسيّ لنشأة فنّ الرواية العربيّة في حضورها الباكر في مرحلة تاريخيّة فارقة، منذ نهايات القرن الثامن عشر، وبدايات القرن التاسع عشر، وانطلاقًا لتيارات النهضة والتنوير، إلى رصد جانب مهمّ من الارتباط بالمدنيّة والحضارة التي صاحبت هذا الظهور اللافت لفئة من المثقّفين والمبدعين الذين أفرزتهم طفرة ثقافيّة قائمة على العلم والبحث، والفكر النهضويّ المستند إلى التخطيط والدخول في أدبيّات المدينة المتحوّلة، بما تحمله من تيّارات حداثيّة غاية في الأهميّة، وارتباطها بالتقدّم البشريّ على جميع المستويات الفكريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، بما يربط وجود فنّ الرواية كمُعبّر عن صور الحياة، بما يرتئيه خيال المبدع وذائقته النقليّة والفكريّة.

واعتمادًا على صروف وأحوال تُشكِّلُ إلى مدىً بعيدٍ صورَ الوجود في فتراتٍ كان الأدب والرواية فيها يشقّان حجب الظلام، في محاولة للاستفادة من هذا التيار من النهضة والاستنارة العلميّة التي ألقت بظلالها على الفنون، ولسبر غور العلاقات الإنسانيّة والتحوّلات الماديّة والروحيّة.

«لم يكن غير فنّ الرواية فنًّا يستطيع بمرونة شكله تجسيد تحوّلات العلاقة بين الطوائف والأجناس والأعراق البشريّة، فضلاً عن تحوّلات الأنواع والوظائف الأدبيّة والفنيّة، في فضاء المدينة الإحيائيّة المتحوّلة بدورها، وجعل هذا التحوّل موضوعاً من الموضوعات الأثيرة التي لا يخلو منها تصوير الأحداث السياسيّة أو النقدات الاجتماعيّة، خصوصاً في مدينة عربيّة بدأت تكتسب ملامح كوزموبوليتانيّة انعكست على علاقات أفرادها من الرجال والنساء».

هذا التحوّل الذي تُثيره إشكاليّة وجود الرواية وسط هذا الزخم المدنيّ المتحوّل بفعل النهضة، أو ما أسميناه هنا الإحياء من خلال المدينة الجديدة بتحوّلاتها وتجلّياتها، وسمات علاقات كافة الطوائف البشريّة، وبين كلّ الجهات، بهذا الفكر الاستشرافيّ والمتوغّل في البعد الإنسانيّ؛ للعمل على تجميع البشر في بوتقة واحدة جديدة تستقي وجودها من التنوّع الكيفيّ، ومن تلك المفردات الجديدة التي تستبق الوعي الإنسانيّ وتعطيه فرادته، بعيدًا عن النوازع الطائفيّة التي تجعل من الحياة في أعطافها ارتدادًا نحو الماضي بظلاميّته وجهالته، ذاك البعد المعرفيّ الجديد الذي يُثير عددًا من القيم تعمل الرواية على إبرازها وتثبيتها في الوعي الجديد.

«وقد عملَتْ هذه القيمُ التي جسّدتها روايات طليعة النهضة وتجسّدت بها، على الإسهام في إزالة حراشف ما بقي من الحواجز الإنسانيّة بين الطوائف والأجناس والأعراق، واللغات والحضارات، في سياق من تجاوب الفاعليّة التي يُفيد بها الإنسانُ غيرَهُ ويستفيد منه، رغم اختلاف الديانة والنِّحلة، أو تباعد المكان، أو اللغة، أو السياسة».

وهي ما أطلقتها كتاباتٌ تميّزَتْ بوجودها كفجر لكتابة الرواية العربيّة، مثل: «حديث عيسى بن هشام» لمحمد المويلحي (1868–1930)، و«علم الدين» لعلي مبارك (1882)، والروايات التاريخيّة لجرجي زيدان اعتباراً من عام 1891، وما نُشِرَ من رواياتٍ ابتداءً من خمسينيّات القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين، وصولاً إلى محمد حسين هيكل (1888–1956) وروايته الرائدة «زينب»، والذي أدّى إلى اكتمال فجر الرواية العربية قبيل بدء الحرب العالمية الأولى، التي أفرزت جيل طه حسين والمازني والحكيم وغيرهم.

«هكذا أصبح فنّ الرواية فنّ الفئات الطالعة للأفنديّة، الذين جاءوا بوعيهم المدنيّ المُحدِّث شروط الضرورة لمجتمعاتهم، وتلك هي الفئات التي رفعها التعليم المدنيّ على درجات السلّم الطبقيّ، وقارب بين أبناء الأرستقراطيّة التركيّة القديمة التي لم تتخلَّ عن مواقعها التقليديّة في ترتيب المجتمع وعلاقات الثقافة».

هذه العلاقة التوثيقيّة لتراث الرواية، من حيثُ كونُها فنّاً يعمل على رصد التحوّلات في المكان والزمان والشخوص، والقضايا المواكبة لوجود الإنسان أينما كان؛ لتكون الروايةُ طموحاً مشروعاً، يُمثّل نجاحاً في تجسيد الوعي المدنيّ.

فقد توجّهت أقلام الشعراء مثل: «عائشة التيمورية»، و«أحمد بك شوقي» أمير الشعراء، وشاعر النيل «حافظ إبراهيم» إلى هذا الحقل السرديّ الأكثر أهميّة، وهو الرواية في تجلّياتها الجديدة، وتُرجِمَتْ نماذجها على السواء؛ لتصنع الروايةُ هذه العلاقةَ التي آتت ثمارها مع الاستنارة؛ لتسلّمها إلى قوة وجود شرعيّ للرواية كديوان جديد للعرب، وباتت الكتابة الروائيّة السمة المائزة للطليعة الواعدة من أبناء الطبقة المتوسّطة كثمرة من ثمار النهضة العلميّة والتعليميّة، ومن ثمّ الاستنارة.

«إنَّ علاقة رواية النهضة بما انطوت عليه من أفكار الاستنارة، وهي الأفكار التي تجاوبت فيها عقلانيّة التراث العربيّ الإسلاميّ، وعقلانيّة عصر الأنوار الأوروبيّ، تؤكّد تولّد هذه الرواية عن مدينة متحوّلة، تستهلّ خطى التحديث التي تلازمها أو تترتّب عليها نزعات مُحدثة، يختلف بها وعي المدينة عن المدن التقليديّة التي تظلّ غارقةً في سباتها النقليّ».

وهو ما يدعو بشكل مباشر ومحايث إلى معانقة آفاق الحداثة التي تنتقل إليها الرواية العربيّة في أطوارها المتلاحقة، التي تنمُّ عن مواكبة واستمرار على إشعال فتيل الإبداع الذي يستقي من كلّ الفنون والأفكار، والحدوس والتطلّعات التي تجعل منه قادراً على الاستمرار في نزح جبال الجليد عن الوعي، وهي الآليّة التي تبدو فيها العلاقة بين المدينة كمعمار بنائيّ، وبين الأفكار المتصارعة، بحيث تكون هذه الموازاة الرمزيّة كتجلّيات مكانيّة وفكريّة متّصلة، في ظلّ وجود صراع من نوع آخر، هو صراع التجاور والتماثل والاختلاف الذي يفرض إيقاعه على العلاقات المنبثقة من المكان، زهو ما يؤكّد عليه الباحث:

«فمن المنطقي أن تجتذب الخطط الجديدة في المدينة المتحوّلة أعين ساكنيها، وتجذب انتباههم إليها، وتدفعهم إلى التحديق فيها، وتمثّلها بالوعي الذي يستخلص الدلالة، وتمثيلها بالكتابة السرديّة التي تنطوي على ما تنطوي عليه المدينة نفسها من تعارضات ومتناقضات ومتغيرات».

حيث فكرة المواكبة تتعانق مع فكرة التمرّد؛ لكي تجتذب آليّاتٍ جديدةً للتحديث، الذي يستلزم وعياً مغايراً ومكثّفاً في ما بين الفكرة وآليّات تنفيذها، والعبور بها إلى بَرّ الوصول الذي يكفل النجاح لهذه النقلة على المستوى الإنسانيّ، الذي تتواكب فيه تلك المدنية مع حالة التطوّر التي لا بدّ أن تشمل الجانب الروحانيّ المتمثّل في الكتابة والتدوين، من خلال الرواية التي تملك إحداث الفارق المعنويّ والتنويريّ والمُلفِت.

«وليس مثل الرواية نوع أدبيّ يُفلح في التقاط التفاصيل الدالّة على تولّد مشاعر الدهشة، أو تفجّر انفعالات الصدمة إزاء الحضور الواعد والمُلتبس للآلة التي جعلت من المدينةِ القديمةِ مدينةً حديثةً».

ونتيجةً لهذه الحالة من التأثير والتأثّر.. يبدو دور المرأة الكاتبة في نشأة الرواية العربيّة في ظلّ هذه المتغيّرات، وأيضاً العروج على الريادة المسيحيّة في الأدب من خلال حركة الانتقال من الشام إلى مصر، وحركة أدباء المهجر نحو أمريكا الشماليّة والجنوبيّة، ثم الولوج إلى إشكالية الترجمة وتأثيرها في تلك النشأة للرواية العربيّة، التي بدأت بنقل وتعريب الروايات الغربيّة، كاطّلاع على نماذج الرواية وثقافة الآخر، ومعانقة إشكال الهُويّة.

«أحسب أنَّ واحداً من أهمّ الأدوار التي لعبتها الرواية في عصر النهضة، من حيث علاقتها بالتنوير في ذلك العصر، إنطاق المسكوت عنه من الأفكار الجذريّة التي انطوت عليها طبيعة العصر، سواء في انقطاع هذه الطليعة عن الثوابت الباقية من ميراث التخلّف، أو تطلّعها إلى وعود الزمن القادم بلوازم التقدّم».

ما يلمح إلى هذا الدور التبشيريّ لتطلّع فنّ الرواية إلى معانقة التطوّر والتقدّم، والوصول إلى طفرات جديدة تستلهمها عقول النابهين من كُتّاب شباب يتنامى تطلّعهم ودورهم بوعي قادر على المحايثة والمواكبة الجادّة.

* كاتب وناقد مصري

آلاء البطاينة/ الأردن

متطلّباتُ التّرجمةِ للأجناس الأدبيّة من العَربيّة

آلاء البطاينة

تُعَدّ التّرجمة الأدبيّة الإبداعيّة – كما يعرف الجميع – من أصعب أنواع التّرجمة؛ لما فيها من حيثيّات وفنّيّات لا توجد في أيٍّ نوعٍ من أنواع التّرجمة الأخرى، كالتّرجمة العلميّة، والبحثيّة، والقانونيّة، وغيرها. لقد كانت تجربتي على مدار سنوات في ترجمة المؤلّفات الأدبيّة الكاملة، أو ترجمة أجزاءٍ أو نصوصٍ متفرّقةٍ من اللُّغةِ العربيّةِ إلى اللُّغةِ الإنجليزيّة متعدّدة، وفي عدّة أجناس، ذات النّفس الطّويل والنّفس القصير، وبعدّة أساليبَ وموضوعاتٍ، منها الفصيح ومنها الشّعبيّ، وفي الرّواية، والشّعر، وقصيدة النّثر، والقصّة، والومضة، والخاطرة، والشّذرة، وفي عدّة موضوعات ومضامين، منها ما له علاقة بأدب الرّحلات، والوجدانيّ، والتأمُّليّ والوطنيّ، والتّراثيّ.

لكلِّ جنسٍ أدبيّ خصائصُهُ وروحُهُ التي ينبثق منها، فالشّعر ديوان العرب، ومادّته أصعبها وأخطرها على المترجم الذي لا بدّ أن يكون واعيًا ومُلِمًّا بالصّور والفنون البديعيّة، ومدركًا للمقاصد والإشارات والتّأويلات بشكلٍ عامّ، وعند الشّاعر بشكلٍ خاصّ، مدركًا أنّ الشّعرَ النّابعَ من الشُّعورِ في حاجةٍ إلى أن تكون أدواته حاضرةً ليحافظَ على روح النّصِّ الأصليّ

وعُمقه، الذي لا يكتفي فقط بنقل المعنى واقتناص الأفكار؛ كيلا يكونَ جافًّا، مبتغاه تفريغ المادّة، فعليه يكونُ المترجمُ قد تعاملَ مع النّصِّ بإجحافٍ.

لذلك تجد الكثير من المُترجمين يهربون من الشّعرِ إلى أجناسٍ أخرى، حيث لا يتمكّنون من الولوج بأعماقِ الرّوحِ الشّعريّة. (لطفلةٍ باكيةٍ لقلبِ امرأةٍ شاعرةٍ منحوتةٍ بالألم، تُتقن العزف على المفردات، تسبّح بالحبر، مسكونة بالعطاش، تتوق لموضع الضلع، تمتم سرّاً؟ من أغوى من؟ فتفضحها اللغات). أمّا الأجناس السّرديّة كالرّواية والقصّة والخاطرة، والتي ترجمتُ الكثير منها لكُتّاب أردنيّين وعرب للُّغةِ الإنجليزيّة، فليس بالأمرِ اليسير، لكنّه، بالتّأكيد، ليس كالشِّعر، وله مميّزاته وخصائصه، وعلى المترجم أن يكونَ مُلمًّا وعلى اطّلاعٍ واسعٍ بخصائصِ هذه الأجناس وعناصرها، والأسلوبِ المتَّبَع عند المترجمين عبر التّاريخ، وكيف تطوّرت التّرجمة في هذا المجال، ممّا يجعل التّرجمةَ قادرةً على نقل العمل بروحه وتفاصيله وأحداثه بكلّ دقّةٍ ورشاقة.

ومن هنا لا بدّ للمترجم أن يبُثَّ الرّوحَ في النّصِّ المُترجَم، وأن يكونَ حريصًا ألّا ينحاز ولا تأخذه العاطفة في نقل تجربة المبدع الذي يمثّل هُويَّتَه وبيئتَه الدّينيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، من إرثٍ تاريخيٍّ وإنسانيٍّ يؤرشف ويحاكي عمله في حركة الأبطال والشّخوص التي تنقل الأحداث، وتنقل الهُويّة المحلّيّة والعربيّة للمبدع.

(الفصد أو الكي: لكنَّ زيدان قرّر اللجوء لعملية الفصد، فإن لم تنفع سيلتئم الجرح بعدها بعدة أيام، وكأنَّ شيئاً لم يحدث.

وفعلاً هذا ما حصل، تمّت عملية الفصد على يد النطاس فريوان، فمجريات العملية وباختصار هي شدّ لسان أنور بقطعة قماش جافة، مع بقاء فمه مفتوحاً بقوة، شدّ فكّيه من قِبل أحدهم، وبعد ذلك يُحدث فريوان قطعاً في لجام اللسان. مسكين أنور لم تنفعه صرخاته وآهاته، وعانى ما عاناه من وجع وقلة أكل؛ بسبب ذلك الجرح المشؤوم، حتى الكلمات التي كان ينطقها لم تَعُدْ تُسمَعُ منه).

ومن جهةٍ أخرى قدّمتُ في تجربتي في مجال التّرجمة مخطوطاتٍ ونصوصاً من الأجناس الأدبيّة ذات النّفس القصير، والتي تعتمد على جزالة اللّغة والدّهشة والمباغتة، والنّهايات غير المتوقّعة والمفتوحة، كالومضة الشّعريّة، والومضة القصصيّة المتعارف عليها بالقصّة القصيرة جدًّا، والشّذرة.

حيث يحتاج هذا الأسلوب من الإبداع إلى ترجمةٍ من نوعٍ خاصٍّ، تكون على درايةٍ وعلمٍ بهذا الفنّ، الذي بحاجة إلى متابعة ومطالعة في اللّغتين، وكيف تتعامل كلّ لغة بهذا الجنس الأدبيّ، وكيف يمكن للمترجم أن يتعاملَ مع المُفردة والمفردة البديلة التي ربّما تحتاج في كثيرٍ من الأحيان إلى استخدام مفردات أكثر بين اللغتين، وخاصّة حين يتعلّق الموضوع بالرّمزيّة والفلسفة، والاعتماد على المجاز والتّأويل، ومن الأمثلة على ذلك: فن الشّذرة الذي يأتي كجانبٍ من الحكمة والإرشاد لكتاب (أصداء السّكون)، الذي قمتُ بترجمته من العربيّة إلى الإنجليزيّة، بكتابة النّصّين في اللغتين العربيّة والإنجليزيّة، و(أغطية الكذب باردة)، و(قناديل اللّيل لا تؤنس الهارب)، و(احذر من وقع الشّكّ فجراح القلب لا تلتئم بالخيوط).

شداة النقد والإبداع: التاريخانيّة والبنيويّة

تأليف: يوري بوريف

ترجمة: د. حسين جمعة

لا وجود لعلم حديث بدون آليّة معرفيّة، منهج يرتكز إلى مثودولوجيا فلسفيّة عامة، وكلُّ علمٍ ملموسٍ يُشكّل من مادته ومن داخله منهجَ تفكيرٍ خاصٍ به، وعلم الجمال (الأستاطيقا) ليس استثناءً في هذا الشأن.

فكرة التاريخانيّة الجدليّة تتعارض والفكرةَ الميتافيزيائيّة «للزمن الثابت»، المتجمّد في سكون العالَم الأبديّ، وكذلك الفكرة الأحاديّة حول الجريان المُطلق لتيار الزمن الجارف، تتغلغل التاريخانيّة في الفكر العلميّ المعاصر، العلم الذي لم يجرؤ بالأمس القريب على النظر في أنَّ مادّتَهُ تتعرّض للتغيير مع الزمن، أضحى اليومَ ظاهرةً تاريخيّةً. وفي إطار هذه السيرورة، كان لا بدَّ لعلم الجمال أن يسبر ذلك المتغيّر ويدركه، فهو لا يستطيع أن يتحوّل إلى علم معاصر، ويبلغ مستوى تطوّر مجالات المعرفة الإنسانيّة الأخرى، إذا لم يكن زاخراً بالتاريخ.

يقتضي مبدأ التاريخانيّة التقيّد بشروط ثلاثة مهمّة، وهي:

أولاً: النظر إلى الظواهر في تطوّرها المستمرّ.

ثانياً: النظر إلى علاقة الظاهرة المحدّدة بغيرها من الظواهر.

ثالثاً: تحرّي التاريخ على ضوء التجربة المعاصرة، واستخدام الأشكال العليا كمفتاح لفهم الأشكال الدنيا من وجهة نظر تاريخيّة.

لقد أصبحت التاريخانيّة الآن في علم الجمال مفصلاً يستجمع بقوة المسائل الأساسيّة في هذا العلم.

يتنامى إدراك أهميّة التاريخانية داخل علم الجمال نفسه كمطلب لتعميق دراسة مادته وترسيخ مصداقيته، ويتطلب الوضع الحاليّ للفنّ وقواعده الحديثة، تلقّي علم الجمال وفهمه كظاهرة نشأت تاريخيّاً، وتُشخَّصُ الآنَ أمامنا كسيرورة فنّيّة تشكّلت وتكشّفت أمام أعيننا في صورتها الحاليّة.

يُنير فنّ الماضي أمامنا خصوصيّة الحاضر في أصالته وتكوينه، المعاصرة ثمرة التطوّر التاريخيّ، وفي سبيل فهمها بعمق يتعيّن تقصي سيرورتها في مجملها، وإضاءة كلّ ظاهرة فنّيّة ذات أهمية وجدوى لحاضرنا، ولتاريخ الثقافة الروحيّة بأسرها. التاريخانيّة هي الطريق إلى ربط النظريّة بالممارسة، والسبيل الوحيد لارتفاع صوت علم الجمال المعاصر، فلا يرتقي التفكير العلميّ الصاعد إلى المستوى النظريّ التاريخيّ إلّا إذا جرى تفسير أفكار الفنّ وحقائقه واستبانتها، وتطوير الأفكار الملموسة على أساس هذه الحقائق، ينبغي أن ينبع نهر النظرية الجماليّة من المادة الجاهزة ويصبّ فيها.

يتطوّر إلى جانب الاتجاه التاريخيّ تيارٌ آخرُ ليسَ بأقلّ أهميّةً ومعاصرةً منه، ألا وهو تيار البنيويّة المُثمر أيضاً. تجتاح البنيوية الآن شتّى مجالات علم الجمال، بعد أن ظهر كتاب الفرنسي مول (نظريّة المعلومات والتلقّي الجماليّ)، وصدور كتاب لوتمان (محاضرات في البوطيقا البنيويّة)، إلى جانب بحث مهمّ قام به ستولوفيتش في هذا الخصوص، وكلّها تسعى للتعبير عن تصوّر اجتماعيّ لمفهوم (الجميل) رياضيّاً، وتأسيس قالب إشاريّ لاستيعابه، كما تجري محاولات مهمّة لقولبة الذكاء.

المضمون الفنّيّ لا يتجسّد في بنية الإنتاج الفنّي فقط، وإنّما يتجاوز ذلك إلى منظومة القوانين كلّها أيضاً، العمل الفنّيّ من وجهة نظر البنيويّة يشكّلُ منظومةَ إشاراتٍ تتجلّى بنصوعٍ عند دراستها عن طريق مناهج الحساب الذهنيّ ومعاضدة السبرانيا. يذكّرنا تقصّي المكوّن الإشاريّ في المبدعات الفنيّة بفكر الدرس الأدبيّ واللحظات العقلانيّة في أعمال علماء عشرينيّات وثلاثينيّات القرن العشرين، يسعى ممثّلو الدراسات البنيويّة الحديثة إلى الاقتراب من طرح مسألة دلالة الإشارات الاجتماعيّة/ الجماليّة، واعتبارها شكلاً ذا مضمونٍ محدّدٍ.

في تطوّر الاتجاهات المتعارضة والمتزامنة، تتلخّص تناقضات العلم الجدليّ المعاصر عامة، بما في ذلك علم الجمال، تدرس البنيويّة الظاهرة في توازنها وفي قطاعها الأفقي، وكذلك في تعبيرها الكمّيّ الرياضيّ، بينما تهتمّ التاريخانيّة بالقطاع الرأسي العامودي للظاهرة في تطوّرها ونوعيّتها.

طبعاً المنهج الأساس في علم الجمال يظلّ التاريخانيّة، مع وجود جوانب مهمّة للإشكاليّات الجماليّة تتمظهر عند التحليل البنيويّ، الذي يحضر كمُتمّم حيويّ للنظر التاريخيّ المنطقيّ في مادة البحث وموضوعه.

ما لا نبوحُ به إلّا لمنصّات التواصل الاجتماعيّ

أحمد نصيب علي حسين

أصبحنا نعيشُ شطراً كبيراً من حياتنا في منصّات التواصل الاجتماعيّ، فأفراحنا وأتراحنا، وآلامنا وآمالنا، نرويها في تلك المنصّات، نذكر فيها أفكارنا وأحلامنا، وأهدافنا ننسجها عبر منشوراتها وصفحاتها، التي لا نستطيع أن نعيش بدونها، فقد وفّرت تلك المنصّاتُ المزيدَ من المميّزات التي تجعل المستخدم يشعر وهو يتصفّحها بالسعادة والسرور والتفاعل مع الآخرين؛ ليستعيضَ بها عن الكثير من الأنشطة الجماعيّة مع البشر.

تاريخنا الشخصيّ والجماعيّ سطوره تُكتَبُ تحت مِظلّة شركة (ميتا) بين الواتساب والفيسبوك، فيرى المرءُ ذكرياته وتطوّرات حياته، يحصد الإنجازات ويطوي الإخفاقات، يهاجم فيها خصومه ويشكر فيها أحبابه، يعاتب فيها أصدقاءه، يُعلن فيها عن خطوبته وزواجه أو طلاقه، ويستقبل فيها العزاء والتعاطف من الآخرين في أتراحه وهمومه.

وتغيّر حالنا معها بعد أن كانت وسيلةَ تسليةٍ وترفيهٍ، أصبحنا نلجأُ إليها، نشكو لها جراحنا، ونعدّد لها همومَنا، وأصبحنا نبوحُ لها بما لا نبوحُ به لأحدٍ من البشر، فقد يناجي المرء ويشكو لمنصّات التواصل أكثر من شكواه لصديقه، ويبثّ الرجل همومه في الوسط الافتراضيّ أكثرَ من بثّه في عالمه الواقعيّ بين أقاربه وذويه ومحبّيه، وفي السطور القادمة سنرى الأشياء التي نبوحُ بها ولا نستطيع أن نرويَها لأحدٍ من البشر.

أولاً: هموم العمل

ليسَ غريباً أن تجد بعض الموظّفين ينشرون الطرائف حول التعامل مع المدير، ويروون القصصَ الكوميديّةَ، فليست تلك الطرائف والقصص تُساق للتسلية والترويح، فهي نوع من البوح والفضفضة، تُخفِّفُ من الكبت لدى المرؤوسين في عملهم، المشكلة في البثّ لهموم العمل أنَّها قد تُضخّمُ مشكلات العمل وهمومه، وتجعل العامل يتصوّر عظم تلك الهموم والمشكلات، ويظلُّ يتصوّر أنّهُ يعيش في بيئةٍ مظلمةٍ قد تجعله يكره بيئة العمل، ويتعامل مع العمل بكرهٍ وثقلٍ، وهذا من كثرة الضغط والترويج لهموم العمل وثقله.

ثانياً: الجروح العاطفيّة

فما يتعرّض له المرءُ من خيبات أمل وغدر وخداع، وإيذاء نفسيّ من الآخرين، وإهمال وتهميش، يظهر في منشورات الفيسبوك وتغريدات تويتر وحالات الواتساب، فالمرءُ لا يستطيع أن يواجه هؤلاء بما فعلوا، فيأتي بخطاب ليفهم مَن يفهم أنّهُ المقصود، ولكن بأسلوب الإشارة، واللبيب بالإشارة يفهم، فما تراه في عتاب صديقك على الواتساب قد يكون المعنيُّ به أنت، ولكنَّ صاحبك لم يُصرِّح، وما يذكره الزوج من ضيقه من شخصٍ ما قد يقصد به زوجته، ولكنَّ الزوجَ لم يُحدِّدْ ذلك، ينبغي للمرء التدرّب على علاج تلك الجروح بعيداً عن منصّات التواصل، ولا يكتفي بمجرد البثّ في منصّات التواصل، هذا البثّ سيُخفِّفُ من وقعها، ولكنّه لن يعالجها.

ثالثاً: الرسائل المكتومة

في كلّ واحدٍ منّا رسائل يريد أن يوجّهها للمقرّبين منه، ولكنّه لا يستطيع لحساسيّة العلاقة، ولأنَّ البعض قد لا يتقبّل العتاب، فيلجأ للواتساب أو الفيسبوك ليكتبَ رسالتَهُ المكتومةَ دون أن يُصرِّحَ لمن هي رسالته، فقد تعاني الزوجة من زوجها قليلاً من الإهمال، فتراها تتحدّث عن الرومانسيّة المفقودة، وقد يعاني الزوج من عدم التقدير المطلوب من زوجته، فتراه ينشر على الفيسبوك أو الواتساب عن غياب الوفاء والتقدير في حياتنا.

لماذا لا تظهر رسائل الرومانسيّة والتقدير إلّا على الفيسبوك والواتساب؟! لماذا لا نُخفي تلك الرسائل وننشرها مباشرةً لمَن يهمّه الأمر؟ إنَّ كتمان رسائل التقدير عن الواقع ووضعها في المنصّات قد لا يضرّ، لكنَّ الذي يضرّ عدم التصريح بها لمَن يهمّهم الأمر، والاكتفاء بها في منصّات التواصل، إنَّ بثّ تلك الرسائل يُخفّفُ من ثقلها على قلوبنا، لكن تبقى المشكلة كما هي لا تحلّ، حلُّها في الاتجاه في الواقع، نحو أولئك الأشخاص الذين نعنيهم بالرسائل، فنعالج تلك المشكلات معهم.

رابعاً: قهر الرجال والمشكلات الغامضة

عندما يعاني المرءُ من انسداد الأفق والمشكلات الصعبة والعميقة، ولا يدري ماذا يصنع، يلجأ لمنصّات التواصل، فيبوح بما يعاني، قد تكون تلك المعاناة في التفاوت الكبير بين الدخل والنفقات، والتضخم الذي يسير بسرعة الحصان، وقد تكون المشكلات في التآمر على الرجولة، وقد تكون في الضغوط المتكرّرة، فتأتي منصّات التواصل تستخرج تلك الهموم من النفوس، هناك الكثير من الناس يعانون من القهر ولا يملكون شيئاً في دفع ذلك القهر، إلّا البوح غير المباشر في منصّات التواصل، لعلَّ ذلك البوح يُخفّف من آثارها في النفوس.

هناك مشكلةٌ في ما نبوح به عبر منصّات التواصل الاجتماعيّ، حيث قد نبالغ في ما نقوله في تلك المنصّات، فالكثير منّا يعيش في نفوس الآخرين، يسعى لمكانته لدى الناس، ويسعى لتكوين هالة من التعظيم والجلالة حول صورته ليراها الناس.

إنَّ البوح بهمومنا ومشكلاتنا عبر منصّات التواصل لا يكفي، فلا بدّ من البوح بها في أماكنها الواقعيّة، مع مَن نعنيهم بخطابنا على تلك المنصّات، عندما نتوجّه لهم برسائلنا في واقعنا الحقيقيّ بعيداً عن تلك المنصّات، سنعمل على علاج المشكلات، فبثّ المشكلة أو العتاب لمن نعنيهم سَيُساهم في حلّ تلك المشكلات، وإخراج تلك الجراح والهموم من أعماق قلوبنا، فخفّفوا من البوح للمنصّات، وضاعفوا بوحكم للأشخاص القريبين منكم من أخ وصديق وقريب وزوج.

الشّعرُ المعاصرُ إلى أين؟
غزارةٌ في الإنتاج.. انحدارٌ في الشعر

د. سهى مشرقي

أحبُّ الشعرَ ويشدّني العذبُ منه، وأنا أنظر في حال الشعر المعاصر، تُحاصرني تساؤلاتٌ تقفُ حائرةً – هي ليست وليدةَ لحظةٍ انطباعيّةٍ طارئةٍ – لكنّها نتاج حقبةٍ طويلةٍ من الاطّلاع والقراءة المتأنّية، علّني أحظى بما يشفي الغليل.

هل غدا الشعرُ المعاصرُ أقلَّ جودةً من الشعر القديم؟ هل تفوّق الشعر القديم – بمعاييره التي احتُكِمَ إليها – في مقابل الشعر المعاصر؟ إلى أيّ مدىً نجح الشاعر المعاصر في نقل تجربته للمتلقي؟ وهل التبدّل في الذوق العام شفيع لتردّي الكثير من الشعر؟ خلاصة التساؤلات: هل يمرّ الشّعرُ اليومَ بأزمةٍ حقيقيّةٍ؟

لا ريب أنَّ مستجدّات الحياة، والتطوّرات المتلاحقة، وهيمنة وسائل التواصل، شكّلت انعطافةً كبيرةً في مسار الأدب، ولا سيما الشعر، لكن هل يعني هذا أن يُجرَّدَ الشعرُ من العمق، وصدق التجربة، والفنّيّة العالية؟! وهذا يفضي بنا إلى تساؤل

أعظم: إلى متى الاستهانة بالتجربة الشعوريّة، وبقوة اللغة، وبأساليب التعبير الشعريّة؟! إلى أيّ حدٍّ أصبح الغموض المبالغ فيه يتحكّم بالقصيدة دون بصيرة؟!

ما أراه أنَّ بعض الشعراء يتعكّزون على مقولة: «المعنى في قلب الشاعر»، وهم آخذون في الازدياد؛ لتبرير تلك الطلاسم والألغاز التي تكتنف قصائدهم، حتى وصلت إلى حدّ الإبهام والالتباس، وبشكل يتجاوز إدراك القارئ.

هل وصلت الهُوّة بين تراثنا الشعريّ ونظيره المعاصر إلى حدّ انسلاخ الشاعر في نصوصه عن مقوّماتٍ تُعَدُّ أساسيّةً، كالوزن، والقافية، والرؤيا، فضلاً عن البديعيّات والفنون المجازيّة من استعارة وتشبيه وكناية وتورية، وغيرها من الأساليب الجماليّة التي تُشكّل حِليةً للقصيدة؟! وهل غدت قيوداً تكبّل الشاعر وآنَ له التحرّر منها؟!

إنَّ المُتبصّر في شعر القدامى، يجدُ فيه مرتعاً خصباً للدراسة والتحليل واستجلاء ما فيه من جماليّات، وقد يصل الأمر إلى أن يتقمّص المُتلقّي المشهد الشعريّ بكلِّ ما فيه من انفعالات وحالات شعوريّة، وتجارب بتفاصيلها، وليس الأمر كذلك بالنسبة للشعر المعاصر جُلِّه!

ألا يحقُّ لي قارئةً ومتذوّقةً للشعر أن ألمسَ الجزالةَ وصدقَ التّجربة، ولذّةَ الشعور، وهل ينبغي على المتلقّي أن يتوغّل في فضاء رحب من التأويلات اللامتناهية حتى يستظهر رؤية الشاعر؟! وإلى متى المغالاة في الإيحاء لدرجة الإبهام وتشتيت المتلقي بمفردات غريبة؟

ما أراه أنَّ الفجوةَ بين المتلقّي والشاعر ورؤيته آخذةٌ بالتوسّع، فهي أسباب تقف وراء فقدان الشغف تجاه النصّ الشعريّ، وهذا يقودنا إلى حقيقة مفادها أنَّ ضوء الشعر قد خبا بعضه، لدرجةٍ أثارت حفيظة النقّاد والدارسين. لا بدّ من الاعتراف بأنّنا نعيش اليومَ حالةً من الحنين إلى الشعر القديم، وهذا الشعور هو محصلة الوهن الذي أصاب الشعر المعاصر، وفقره للعمق والجمال، فلم يعد للكثير منه وقعٌ في النفس.

كيلا أقعَ في فخّ التعميم، وألّا أظهرَ بمظهر المُتجنّية السوداويّة، فمن العدل – بمكانٍ – أن أشيرَ بالبنان إلى تلك الفئة من الشعراء، ممّن يستحقّون هذا اللقب، والذين حرصوا على إخراج نصوصهم بأحسن صورة، قد أنزلوا الشعر منزلته التي يستحقّ، وارتقوا به إلى مستوى رفيع.

صفوة القول: أما آنَ الأوانُ أن يستعيدَ الشعر رونقه ومكانته المرموقة؟ لا بدّ أن يُعيد الشعراء النظر في ما ينظمونه؛ سعياً للارتقاء بالشعر المعاصر، وأن يكون قِوام شعرهم النوع لا الكم، ولا أرى بأساً في أن نعودَ إلى الشعر القديم، ونستلهمَ منه ما يخدم القصيدة، ونقتفي أثر أولئك المبدعين في تريّثهم وتأنّيهم عند صناعتهم القصيدة، فالشعرُ – وإن تقادم العهد ومرّت السنون – رسالةٌ وجوديّةٌ ساميةٌ تُخاطب الإنسان، لذا آن الأوانُ أن يستعيد ألقه وسحره، وأن تُبعَثَ الروحُ فيه من جديد.

حروفية الفنان محمد أبو شعر/ سورية

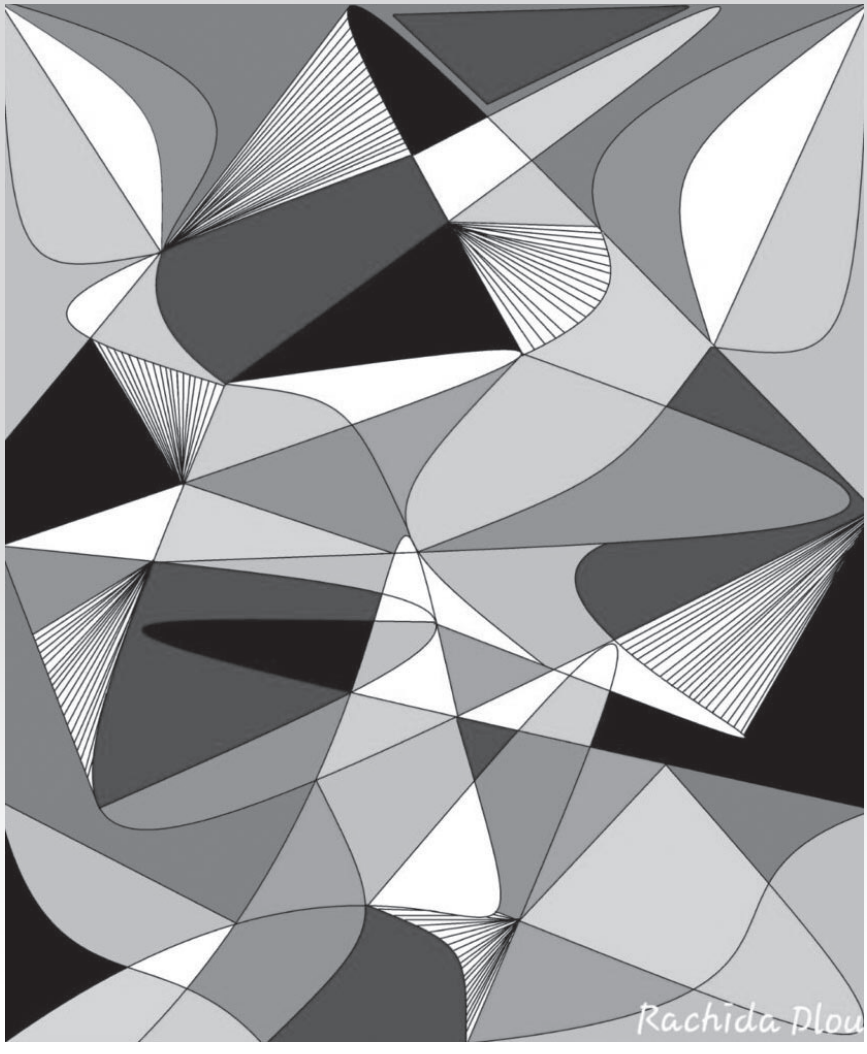

حروفية الفنانة رشيدة دلو/ المغرب

- شقاءُ الأثر: سوانحُ عن أدبِ الشَّبابِ في المغرب

أنيس الرافعي

لوحة الفنان مو باعلا/ المغرب

شقاءُ الأثر:
سوانحُ عن أدبِ الشَّبابِ في المغرب

أنيس الرافعي*

«أدبُ الشبابِ» توصيفٌ نقديٌّ كان شائعاً وكثيرَ التّداول والرّواج في مسالك المشهد الثقافيّ والإبداعيّ المغربيّ، على الأخصّ خلال فترة تسعينيّات القرن الماضي، وحتى بداية الألفية الثالثة، قبل أن يتمّ التخلّي عن مبدأ التقسيم الجيليّ؛ ليستعاض عنه تدريجيّاً إبّان السنوات التالية بمصطلحاتٍ إجرائيّةٍ بديلةٍ، أنتجتها المنظومة الأكاديميّة أو تقليعات الإعلام الثقافيّ، من قبيل: (الأدب الجديد، الأدب المُحدَث، أدب الحساسيّة الجديدة، أدب الراهن، أدب الموجة الجديدة، أدب المرحلة الزرقاء).

* كاتب وقاصّ مغربيّ

وتجدر الإشارة ضمن هذا السياق إلى أنَّ ولادة وتأصيل مصطلح «أدب الشباب» في المغرب، ارتبطت أساساً بمجموعة من المبادرات والظواهر الثقافيّة المستقلّة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما هو آتٍ:

1- تأسيس جماعات أدبيّة طليعيّة ذات نزوعات تحديثيّة، تندرج ضمن مغامرة الكتابة التجريبيّة المعارضة لمعياريّة التقليد وأنماط المماثلة (الكوليزيوم القصصيّ، جماعة الرماديّين، كراريس تيزي، نادي القصة، الغارة الشعريّة، مجموعة البحث في القصة القصيرة).

2- ظهور منشورات نضاليّة، تعتمد بالأساس على النسخ بالفوطوكوبي، وتوزّع بطريقة ذاتيّة عبر الأقاليم، خارج الدوائر الرسميّة للنشر والتوزيع، مع الحرص على اتّخاذ مسافة أيديولوجيّة ونقديّة من ريع المؤسّسات الثقافيّة المهيمنة وامتيازاتها الانتفاعيّة.

3- تنظيم منتديات وملتقيات، ومهرجانات، وحلقات دراسيّة، بموارد ماديّة تطوعيّة داخل مدن الهامش المغربيّ المنسيّ والنائي عن المركز، مع تسليط الأضواء الكاشفة على تجارب أدبيّة غير مكرّسة أو مغمورة، بيد أنَّها تتميّز على صعيد المُنجَز ببصماتها الاختلافيّة وخصوصيّاتها الفارقة.

4- إصدار البلاغات والبيانات الأدبيّة الحارقة، بغرض التعبير عن تطلّعات وحدوس ومضامين مغايرة في التخييل، والكتابة، والفكر، والأنساق الدلاليّة، والموقف من العالم والمؤسسات والواقع السياسيّ.

5- ارتفاع الإنتاجيّة النصيّة ووتيرة التراكم النوعيّ والكمّيّ لإصدارات الكُتّاب الشباب على نفقتهم الخاصة، وبإمكاناتهم الذاتيّة، بمنأى عن أيّة وصاية، أو أبويّة، أو تبعيّة، أو استقطاب سياسويّ.

وقد استطاعت هذه الدينامية المتصاعدة التي طالت أجناساً أدبيّةً عدّةً، شعراً وسرداً ومسرحاً، أن تجترح فعلاً خصيصاتٍ فارزةً، مبنىً ومعنىً ومغزىً، اهتمّت أساساً بالجماليّات النوعيّة التالية:

جماليّات الهامش الذي غدا على حساب المركز، فضاءً أنثروبولوجيّاً لمتخيّل الكتابة القصصيّة والشعريّة والروائيّة، بمناخاته الضاغطة، وشخوصه المكلومة، وآفاقه المحتبسة، وآماله المغدورة.

جماليّات الكارثة، إذ انتصب «الكاووس» بوصفه الموضوعة المركزيّة لكتابات سوداويّة، تبشّر بالفجائعيّ، والأبوكاليبتي، والديستوبي، والقيامي المنذر بالنهايات الوشيكة.

جماليّات المُقصَّرات بفعل انتشار أنواع القصة القصيرة جدّاً، والهايكو الشعريّ، والشذرة، واليوميّات، والنوفيلا؛ التماساً لتصييغات أدبيّة، قوامها الاقتضاب والاختزال، واعتقال العالم داخل أحيزة ميكروسوبية، وفق أنساق يابانية بليغة.

جماليّات الانفتاح الأجناسيّ، لمّا أشرعت النصوص مروحتها في اتجاه فنون أخرى تعبيريّة أو أدائيّة، من قبيل السينما، والفوتوغرافيا، والتشكيل، والرقص، وفنون الفيديو، والمعمار، والطقوس الشعبيّة، والنظريات العلميّة.

جماليّات العجائبي، سواء في صيغته التراثيّة أو تخريجاته المعاصرة، فصار الانمساخُ والتردّدُ، والغريبُ والعجيبُ والخارقُ، سماتٍ جوهريّةً ملازمةً للسرود والمحكيّات وقصائد النثر.

جماليّات الافتراضي، التي تمّ إضمارها داخل نسغ النصوص ونظمها، فصرنا نرى ما هو سبرانيّ أو رقميّ، أو هولوغرامي، يُوظَّفُ بوصفه تِقنيّاتٍ كتابيّةً ذات أبعاد ثلاثيّة.

جماليّات الجسد، تلك التي أوليت لها أهميّة خاصة في إقصاء الخارج الصاخب، ثم الانكباب على الداخل الصامت؛ قصد اكتشاف مناطق غير مطروقة للبوحِين القصصيّ والشعريّ.

جماليّات الفراغ، فعوض أن تذهب الكتابة إلى ما هو ممتلئ ومحتشد ومتشابك، أمست تمضي صوب ما هو خالٍ وخاوٍ، وغير مطروق ومنبسط، حتى أضحى الفراغُ مكوِّناً بنائيّاً في تشييد المتخيّل.

جماليّات الكابوس المُعبّرة عن انحباس الأفق بالنسبة لجيل غاضب وغير محظوظ من الناحيتين الطبقيّة والاجتماعيّة، جيل لا يحلم كثيراً، لكنّه يسقط عموديّاً في شرك كوابيسه وهلاوسه ورؤاه المُعذّبة.

جماليّات المُضاعف، حيث نُلفي النسيخ والقرين والبديل إلى جانب الشخوص، ممّا جعل الذوات تتمرأى وتتعدّد وتتناسخ في المرايا المتقابلة للواقع، وتُشكِّلُ مستوياتٍ مجاورةً وعوالمَ موازيةً له.

جماليّات المتوالية التي عوّضَتِ المجموعةَ القصصيّةَ أو الشعريّةَ؛ ليتمَّ الانتقالُ إلى مفهوم الكتاب الجامع الذي يكبر كالموسيقى، الحركة الأولى تغدو هي الثانية، والحركة الثانية هي الثالثة بدون استئذان أو لحظة فاصلة لالتقاط الأنفاس.

جماليّات اللامرئيّ، فعِوضاً عن تبصيرِ السرد أو الشعر ليصيرَ مرئيّاً، تمَّ البحث عمّا وراء هذا المرئيّ لاكتشاف المخفيّ المُستتر، الذي يعيش بجوارنا كلّ يوم، سوى أنّنا لا نلتقطه إلّا لماماً.

خلاصة القول ورحيقه، لقد ارتهن وارتبط أدب الشباب في المغرب بشقاء الأثر ذي الصّلة الوكيدة بالاستهتار باليقينيّات البالية للكتابة؛ لأنّه ودَّ أن يكون بحثاً متواصلاً ومحموماً عن المسارب الوعرة والأغوار غير المطروقة، عن الأراضي المتعذّر على العاديّين الالتحاق بها، عن الأمشاج الغابرة للمتخيّل، عن المتوحّش اللامألوف، عن غير المكتشف بعد، عن الذي لم يسبق له أن قيل، عن الذي لا يكتمل، عن غير القابل للتوصيف والتصنيف، عن غير المدرك، عن المتعذّر على الإحاطة والتعريف، عن المفتقد للقوانين، عن العنقوديّ الهارب المنفلت، القائم على التناصّ والتضمين، والتلفيق والتلاعب بالنصوص.

عن نوستالجيا المستقبل، عن المغامرة الجماليّة داخل كثافة اللانهائيّ، عن غابة الشكوك وجغرافيا المجهول ومتاهة الظلال، وعن الديناميّ اللامستقرّ في منطقة ملتبسة تزخر باختلاطات الأمواه الحلوة بالأمواه المالحة بالأمواه المتعكّرة، بتزحزحات الحوافّ، وجاذبيّات التشويش، واضطرابات التفكيك، ومخاطر الانفصال، وغرابة التناقض، وقلق الماوراء، وتمزّقات الغياب.

حيث يقف الكاتب المُحدثُ مثل لاعب الكُريّات في لوحة الفنّان «مارك شاغال»، مستنداً إلى رِجلٍ واحدةٍ زرقاء اللّون، ومتصوّراً نفسه طائراً له منقار أصفر وحوصلة حمراء، يحمل بيده اليمنى ساعة حائط معطَّلة، كما لو أنَّ الزمن العتيق جفَّ بداخلها عمداً، وعلى نحو مباغت؛ كي يسمح للكتابة القادمة من الزمن السائل بحكي العالم وَفْقَ صيغتها الخاصّة غير المُحنَّطة.

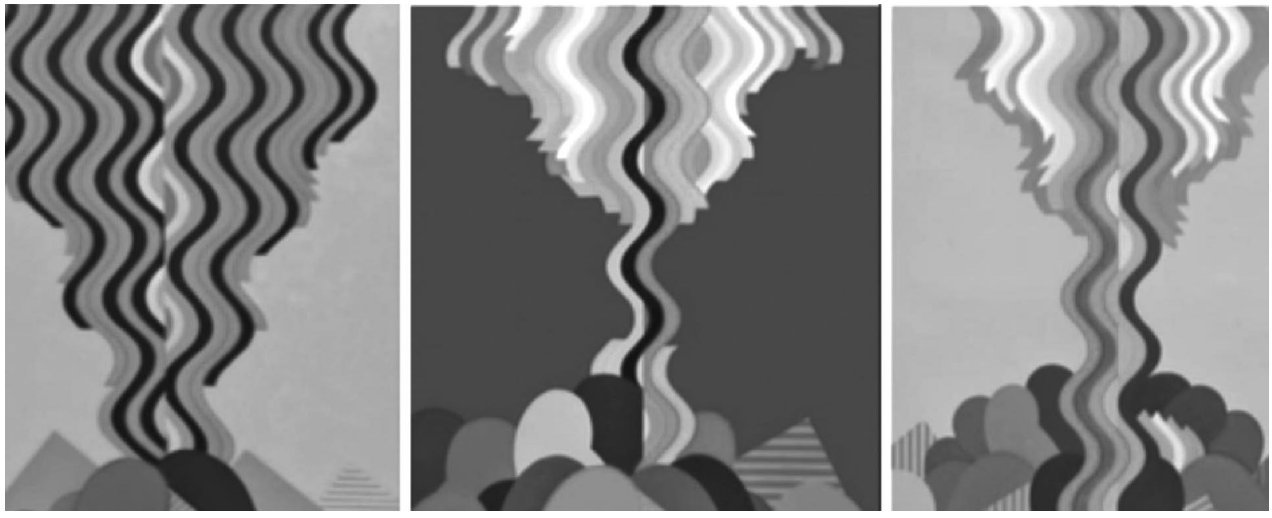

لوحة الفنان محمد المليحي/ المغرب

لوحة الفنان عبد الإله الشاهدي/ المغرب

لوحة الفنان ديفيد روبرتس

بـتـرا

إياد أبو ريان

لوحة الفنان ديفيد روبرتس

لوحة الفنان ديفيد روبرتس

بـتـرا

إياد أبو ريان

قبل أن تتـوَّجَ (بترا) تاجاً على عرش الصحراء، كانت أشعةُ الشمس قد زادتها ألقاً وبريقاً، وأنطقَتْ لوحاتِها وكُتلَها الصخريّةَ لتحكي قصة الحضارة.

من بين النقش والزخرفة، من زمن النحت وزمن الفلسفة، شكّلت شمسها وقمرها ونجومها جسوراً غازلت التاريخ، وحاورت الجغرافيا، وحين عُـزِفَتِ الموسيقى على أدراجها، نطق التاريخ بصوته الماسيّ الصوفيّ مُدغدغاً بسمفونيّاته مهابة الليل، ومُجلّياً سكونه.

بترا.. المدينة العجيبة، التي نزلت في أعشاشها معجزةُ الحداثة وما بعدها، وهدهدت خاصرتها المعاصرة وما حولها، وأيقظَتْ حوافر خيلها العولمة وما يندرج في إطارها، وكانت منذ أقدم الأزمنة، عطرَ الليل، ومهدَ الأساطير، وحاملةً وجع المدن المكلومة والمهزومة، كانت وما زالت آسرةَ قلوبِ الملايين، وما زال صوتها يوقظنا على أنغام أديرتها وكنائسها ومعابدها، وما زالت أجراسها توقظنا كلّما أقبل فجر يوم جديد.

هـذه العـروس الشـقراء، تجلَّـتْ ليـلاً علـى أضـواء الشـموع، ومـن رحـم الظـلام، انكشـفت قصّـة الإنسـان، وتحدّثـت أسـراره عـن جماليّـات المـكان، وعـن سـعي البشـرية القـديم نحـو الأمـن والسـلام.

بتـرا .. سـيّدة الصخـر والمـاء، سـيّدة الخصـب والنمـاء، سـيدة الدهشـة والروعـة، سـيدة المـكان والزمـان، وعجيبتهمـا الخالـدة.

بتـرا .. شـذا الـورد، والـروح السـامية المُحلّقـة في أرجـاء الحكمـة، والمشـغولة بتطريـز أوثـق العلاقـات بـين الفنّانـين وبـين جماليـات المكان.

بتـرا .. المدينـة التـي نقشـت آلهتهـا، وفرّغـت كهنتهـا، واسـتدعت الحجـر والبشـر والشـجر، كـي تغفـو بـين يـدي بارئهـا «راضيـة مرضيـة»، ولتستسـلم لشـذا العطـر الإلهـي، غيـر أنَّ إغفاءتهـا، لـم تخلُ مـن أحـلام أيقظـت البشـريّةَ مـن سـباتها، فجاءتهـا مـن أرجـاء الكـرة الأرضيّـة، تُقدِّمُ لهـا الـولاء والطاعـة، وتعتـرف بالانـدهـاش.

في بترا يتساوى الأبيض والأسود، ويتصالح العالم المتلاطم بالعداوات والحروب، وتُمحى كلّ ذنوب البشريّة، ويتسامى كلّ مَنْ لم يترك بصمةً، بل ترك مدينةً ودولةً، ضربت المثل الأعلى في الكهنوت، وفي الوحدة تحت عرش الله.

بترا.. المدينة الباسقة الروح، التي تمتحُ شخصيتُها من ازدواجيّة تاريخها الوقور، وحاضرها الرشيق.. بترا.. المدينة البِكر، التي لم تسبر الأقلام غورها، ولم يُؤرَّخ لها بما يليق بها وبغنى أحداثها، لذا ظلّت عبر الزمن طابعاً أثريّاً قديماً، يحتفظ العالَمُ به بحرص، ولكنّه لا يستعمله، وحين ملأ الهاشميّون ذاكرة العالم بكلّ تفاصيلها، وحين أوصل جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين صدى التاريخ المنبعث من صخورها النابتة في الأرض، غدت بترا الكبيرةُ الكبيرةُ، قطرةَ حبرٍ وحبٍّ في أقلام مبدعي العالم، وصارت تُراود البشريّةَ أينما كانت، وتدعوها من قمة عشقها إلى أخمص ترحالها؛ كي تحِلَّ ضيفةً على هالتها وبهجتها، وسكونها وحيويّتها.

وجع بترا وما تبعثه في النفس من أسىً على مَنْ شيّدوها ورحلوا، والتعب الذي تُخلّفه في أجساد زوّارها نتيجة كثرة تجوالهم فيها، على الرمل الناعم حيناً، وعلى الحجارة القديمة حيناً آخر، دون أن يصلوا إلى منتهاها، يُعوّضه ما يرَوْا في كلّ ملمتر منها من أثرٍ يبعث على الفخر والاعتزاز، فهذا المكانُ عابقٌ بالذكريات والتجلّيات، والإبداع والروحانيات المحاطة بسياج بشريّ وصخريّ يمتصّ رحيقَهُ من فنّ القلاع الحربيّة، التي جمعت بين الصلابة والسموّ، وفي الوقت نفسه لم تبقَ خليّة – مهما صغرت – تُتيح الفرصة للعدو كي يتمكّن منها.

بترا التي تجمع بين عظمة المكان وجبروت الإنسان، تستحيل مع الأيام إلى مصدر وحي، ومهما حاولت عناصر الطبيعة أن تُدمّرها بالزلازل حيناً، وبالنباتات التي تشقّ الصخرَ وتنفذ بين مساماته، وعوامل التمدّد والتقلّص بالحرارة والبرودة، إلّا أنَّ عينها ستغمضُ رمشَها على كلِّ ذرةٍ تُغبّرها، وتمنحها بريقاً خالداً وأضواءً لا تخفت ولا تغيب.

بترا.. جارة وادي رم، بستان الورد وكرم الرمل، وغابات الصخور، وادي رم، عنفوان الماء، وجام غضبه، والرقيب على اشتباك الهواء والغبار، وثورة أعمدتهما من الأرض تجاه السماء، السماء ذات الإشراقة البهيجة للشمس وإطلالة القمر، وسطوع النجوم، وكلّها عقودٌ ولآلئُ تضيء وادي البهجة، وتمنحه كبرياء على كبرياء.

وادي رم.. حيث لا نهاية للمدى، واتساع أكثر ممّا قد يمتدّ النظر أو ترى العيون، وصعود وعلو في كلّ الاتجاهات، وبين كلّ جبل وجبل، وبين كلّ صخرة وصخرة، تتجدّد الحياة، وتنبعث موسيقى التجدّد والبقاء والخلود.

لوحة الفنان محمد نصر الله/ الأردن

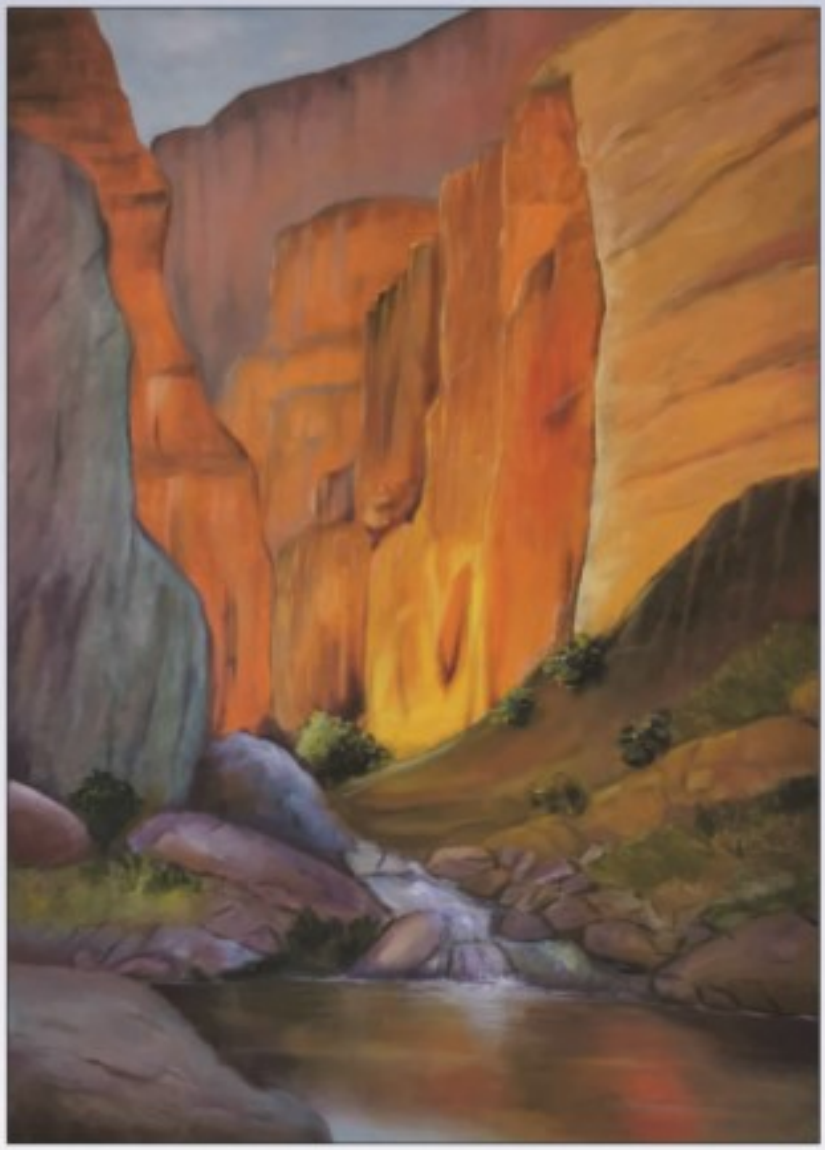

للفنانة لين الجعفري/ الأردن

للفنانة تمارا الشريف/ الأردن

صوت الجيل

العدد 18 من الإصدار الجديد 2023

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

مطبعة المركز الحرفي الأردني للطباعة الثقافية